

2me Année, No. 72.

بدل الاشتراك عن سنة

٦٠ في مصر والسودان
٨٠ في الأقطار العربية
١٠٠ في سائر الممالك الأخرى
١٢٠ في العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد

الأعلانات يتفق عليها مع الأدارة

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

Lundi-19-11-1934

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
بشارع الساحة رقم ٣٩
بالقاهرة
تليفون رقم | ٤٢٣٩٠ / ٤٠٥٣٠

العدد ٧٢ « القاهرة في يوم الاثنين ١١ شعبان سنة ١٣٥٣ — ١٩ نوفمبر سنة ١٩٣٤ » السنة الثانية

فهرس العدد

عهد زاهر!

نشرت الصحف أخيراً بعض إحصاءات عن التعليم في مصر ؛ ومنها يستفاد أن التقدم مضطرد في عدد المدارس وعدد الطلبة ، ولكن الذي يلفت النظر بنوع خاص ماورد فيها عن حالة التعليم الأوّلي ؛ ذلك أن المكاتب والمدارس المخصصة لهذا النوع من التعليم لايتجاوز عددها في مختلف أنحاء القطر ألفين ومائة ، فيها نحو ٨٥٠ ألف تلميذ وتلميذة . ومعنى ذلك أن الذين يتلقون التعليم الأولى في هذه البلاد لاتزيد نسبتهم على خمسة في المائة من مجموع السكان ؛ فاذا علمنا أن باقي المتعلمين على اختلاف طبقاتهم لايتجاوز عددهم أيضاً نحو أربعة أو خمسة في المائة ، استطعنا أن نقدر إلى أي مدى ما زالت الأمية تفتك بعقول الشعب المصري

لقد اعتدنا في العهد الأخير أن نسمع نغمة ما تزال تتردد في كل فرصة ، لمناسبة وغير مناسبة ، هي أن مصر تجتاز في ميدان التعليم والثقافة والآداب عهداً زاهراً لم تبلغه من قبل في أي مرحلة من مراحل تاريخها ، وأنها تظفر لأول مرة في

تاريخها بجامعة مدنية كبرى وجامعة دينية ، ومجمع علمى ، وطائفة كبيرة من المعاهد والمدارس الفنية ، والجماعات العلمية المختلفة . ولقد بولغ فى ترديد هذه النغمة ، وإذاعة هذه الدعوة ، حتى كادت تطمس الحقائق ، وحتى كدنا نؤمن بهذا التمويه ، وننسى ما يعتور سير التربية والتعليم فى هذه البلاد من ضروب النقص والضعف والفساد

نعم ، لقد زاد عدد المدارس والطلبة زيادة كبيرة ، والتعليم يتقدم من حيث العدد بلاريب ، ولكن هل يتقدم التعليم من حيث النوع ؟ وهل ارتفع لدينا مقياس التربية والثقافة عما كان عليه منذ جيل ؟ لقد كان التعليم قبل الحرب آليا يخرج لحكومة تسيطر عليها إرادة المستعمر عمالاً خاضعين لا رأى عندهم ولا شخصية لهم ؛ وما يزال التعليم يصطبغ فى عصرنا بهذه الصبغة الخطرة ، صبغة العقم وفقدان الشخصية ؛ وشأن المتعلمين اليوم شأنهم بالأمس فى التطلع الى الوظائف حتى بلغ تهافتهم عليها حداً يدعو الى الرثاء ؛ وهم فى الحياة حيارى لاعزم لهم ، لأنهم لم يتلقوا من صنوف التعليم ما يسلحهم بمثل هذا العزم ، أو يمدهم بتلك الشخصية التى تصمد لمصاعب الحياة العملية ومتاعبها ، وتستغل معارفها ومواهبها استغلالاً صالحاً منظما

وفى مصر جامعة مدنية كبرى ، وجامعة دينية كبرى لها ماض مجيد ؛ ولكن هل نتمتع حقاً بالتعليم الجامعى ؟ وهل استطعنا أن نخلق فيهما تلك البيئة العلمية الرفيعة ، وتلك الحرية الفكرية ، وذلك الاستقلال فى البحث ، وهى أسمى المزايا الجامعية ؟ إن الجامعة عندنا اسم على غير مسمى ؛ وليست فى الواقع أكثر من مدرسة عادية ، تخضع لكل ما تمليه أهواء الذين يرون فى الاستعباد الفكرى وسيلة ناجعة لتدعيم الاستعباد السياسى

ولدينا حقاً مجمع علمى للغة العربية ، ولكن هل يثير ذكر هذا المجمع وظروف تكوينه غير الابتسام ؟ وهل نذكر قصة إنشائه إلا على أنها لون من ألوان ذلك الطلاء الخلاب الذى يعتمد على الأسماء دون المسميات

ولدينا جماعات علمية ذات أسماء ضخمة ، ولكنها أجنبية فى روحها وغايتها ، وهى قلما تعنى بأعمال علمية خطيرة ، ولا تعنى إلا باذاعة ما يوحى اليها به من الدعايات

وفى كل عام ننفق عشرات الألوف على بعثات الطلبة خارج القطر ؛ ولدينا الآن من خريجى هذه البعثات ألوف من خيرة الشباب المثقف المتخصص فى مختلف العلوم والفنون ؛ ولكن هل استطعنا أن نستغنى بهم عن أولئك الأجانب الذين ينبثون فى كل فروع الحكومة ، ويستأثرون بأرفع المناصب بحجة أنهم خبراء وفنيون ؟

* * *

الواقع أن هذه النهضة العلمية تقوم على كثير من العوامل المصطنعة والمظاهر الخلابة ، وينقصها كثير من المزايا الحقيقية ؛ فهى أشد ما تكون ضعفاً من الناحية الوطنية ، وما زالت خاضعة لكثير من المؤثرات الأجنبية التى لا تتفق فى كثير من الأحيان مع الغايات القومية ؛ وهى ما زالت من الناحية العملية قاصرة عن أن تجعل من الشباب المتعلم عمالاً نافعين لأنفسهم وللوطن . ومن الأسف أن المظاهر هى فى كثير من الأحيان كل ما يعنى به ، وأن الأسماء الرنانة هى كل ما يهم ذكره وتعداده . وقد ذهبنا بعيداً فى التشبث بهذه المظاهر والتهويل من شأنها ، وغفلنا عن معالجة أوجه النقص الحقيقية . ويكفى لادراك هذه الحقيقة أن نذكر أن البلاد بعد هذه الجهود كلها ما زالت تتخبط فى ظلام الأمية ، وأن مصر بعد عشرة أعوام من تنفيذ مشروع التعليم الألزامى لم تستطع أن تنقذ من الأمية الطبقة أكثر من أربعة أو خمسة فى المائة من بنيها

لقد آن الوقت الذى يجب أن نستعرض فيه مظاهر حياتنا على حقيقتها ، وأن نقدر أوجه الخير والنفع فيها قدرها الصحيح ؛ فليس من العار أن نعترف بأننا فى منتصف الطريق أو مستهله ؛ ولكن الخطل أن نزعم أننا حققنا ما لم يحقق ، ومن الخطر على بنائنا القومى أن نؤمن بما ليس منطبقاً على حقيقتنا ولا هو حتى من مظاهر نهضتنا

« ع »

قصيدة مترجمة

إحـــذرى !

للأســـتاذ مصطفى صادق الرافعى

ترجمنا عن الشيطان قصيدة (لحوم البحر [١]) . وهـذه ترجمةٌ عن أحد الملائكة ؛ رآنى جالساً تحت الليل وقد أجمعتُ أن أضعَ كلمةً للمرأة الشرقية فيما تحاذِرُه أو تتوجّسُ منه الشرَّ ؛ فتخايَلَ الملكُ بأضوائه فى الضوء ، وسَنَحَ لى بروحه ، وبثَّ فىَّ من سرِّه الالهى ؛ فجعلتُ أنظرُ فى قلبى إلى فجرٍ عن هذا الشعر يَنْبُعُ كلمةً كلمة ، ويُشْرِقُ معنًى معنًى ، ويستطيرُ جملةً جملة ، حتى اجتمعت القصيدة وكأنما سافرتُ فى حُلُم من الأحلام فجئت بها .

وانطلق ذلك الملَك وتركها فى يدى لغةً من طهارته للمرأة الشرقية فى ملائكيتها .

إحـــذرى !

إحذرى أيتُها الشرقيةُ وبالغِى فى الحذر ، واجعلى أخصَّ طباعِك الحذَر وحده .

إحـذرى تمدُّنَ أوربا أن يجعـلَ فضيلتَك ثوباً يُوَسَّعُ ويُضَيَّق ؛ فلُبْسُ الفضيلة على ذلك هو لُبسُها وخَلْعُها . . . .

إحذرى فنّهم الاجتماعىَّ الخبيثَ الذى يَفرِضُ على النساء فى مجالس الرجال أن تؤدِّىَ أجسامُهُنَّ ضريبةَ الفن . . . .

إحذرى تلك الأُنوثةَ الاجتماعيةَ الظريفةَ . إنها انتهاء المرأة بغاية الظَّرفِ والرقة إلى . . . . الى الفضيحة .

إحذى تلك النسائيةَ [٢] الغزَليَّة . إنها فى جملتها ترخيصٌ اجتماعىٌّ للحُرَّة أن . . . . أن تشارِكَ البَغِىَّ فى نصف عملها .

أيتُها الشرقية ! احذرى احذرى !

* * *

إحذرى التمدُّنَ الذى اخترعَ لقتل لَقَبِ الزوجةِ المقدَّس ، لقبَ « المرأة الثانية » . . . . .

واخترع لقتل لقب العـذراءِ المقدس ، لقبَ « نصف عذراء » . . . .

واخـترع لقتل دِينيَّةِ معـانى المرأة ، كلمة « الأدب المكشوف » . . . .

وانتهى إلى اختراع السرعة فى الحب . . . . فاكتفى الرجل بزوجة ساعة . . . .

وإلى اختراع استقلال المرأة ، فجاء بالذى اسمهُ (الأب) من الشارع ، لتلقِىَ بالذى اسمهُ (الابن) إلى الشارع . . . . .

أيتها الشرقية ! احذرى احذرى !

* * *

إحذرى وأنت النَّجْمُ الذى أضاء منذ النبوَّة ، أن تقلِّدى الشمعةَ التى أضاءت منذُ قليل .

إن المرأةَ الشرقية هى استمرارٌ متصلٌ لآداب دينها الانسانىِّ العظيم .

هى دائمـا شديدة الحفاظ حارسةٌ لحوزتها ؛ فان قانون حياتها دائمـا هو قانونُ الأُمومة المقدَّس .

هى الطُّهر والعفة ، هى الوفاء والأَنَفة ، هى الصبر والعزيمة ، هى كل فضائل الأُمّ .

فما هو طريقُها الجديد فى الحياة الفاضـلة ، إلا طريقُها القديمُ بعينه ؟

أيتها الشرقية ! احذرى احذرى !

* * *

إحذرى ويحكِ تقليدَ الأوربية التى تعيشُ فى دنيا أعصابِها محكومةً بقانون أحلامها . . . .

---

(١) نشرت فى العدد ٦٢ من الرسالة

(٢) نحن نستعمل النسائية والنسوية وكلاهما عندنا صحيح والاختيار فى كل موضع للأفصح فى موقعه .

لم تعُدْ أنوثتها حالةً طبيعيةً نفسيةً فقط بل حالةً عقليةً أيضاً تشكُّ وتجادل . . . .

أنوثة تفلسفت فرأت الزواجَ نصفَ الكلمة فقط . . . . والأم نصف المرأة فقط . . . .

ويا ويلَ المرأةِ حين تنفجرُ أنوثتها بالمبالغة العقلية فتنفجرُ بالدواهى على الفضيلة . . . .

إنها بذلك حُرَّةٌ مساويةٌ للرجل ، ولكنها بذلك ليست الأنثى المحدودةَ بفضيلتها . . . .

أيتها الشرقية ! احذرى احذرى !

* * *

إحذرى خَجَلَ الأوربيةِ المترجِّلةِ من الإقرار بأنوثتها .

إن خَجَلَ الأنثى من أنها أنثى يجعلُ فضيلتها تخجلُ منها . . . .

إنه يُسقطُ حياءها ويكسو معانيها رُجُولةً غيرَ طبيعية .

إن هذه الأنثى المترجِّلةَ تنظر إلى الرجل نظرةَ رجل إلى أنثى . . . .

والمرأةُ تعلو بالزواج درجةً إنسانية ، ولكن هذه المكذوبة تنحطُّ درجةً انسانيةً بالزواج .

أيتها الشرقية ! احذرى احذرى !

* * *

إحذرى تَهَوُّسَ الأوربية فى طلب المساواة بالرجل .

لقد ساوتهُ فى الذهاب إلى الحلاَّق ، ولكن الحلاَّق لم يجد فى وجهها اللِّحْية . . . .

إنها خلقت لتَحْبِيبِ الدنيا إلى الرجل ، فكانت بمساواتها مادَّةَ تبغيض .

العجيبُ أن سرَّ الحياة يأبَى أبداً أن تَتَساوى المرأةُ بالرجل إلا إذا خَسِرَتْه .

والأعجبُ أنها حين تخضع ، يرفعها هذا السرُّ ذاتُه عن المساواة بالرجل إلى السِّيادة عليه .

أيتها الشرقية ! احذرى احذرى !

* * *

إحذرى أن تَخسرى الطباعَ التى هى الأليقُ بأُمٍّ أنجبت الأنبياء فى الشرق .

أُمٌّ عليها طابَعُ النفس الجميلة ، تنشرُ فى كل موضع جوَّ نفسها العالية .

فلو صارت الحياةُ غيماً ورعداً وبرقاً ، لكانت هى فيها الشمسَ الطالعة .

ولو صارت الحياةُ قَيظاً وحَرُوراً واختناقاً ، لكانت هى فيها النسيمَ يَتَخَطَّر

أُمٌّ لا تُبالى إلا أخلاقَ البطولة وعزائمها ، لأن جَدَّاتِها ولدْنَ الأبطال .

أيتها الشرقية ؛ احذرى احذرى

* * *

إحذرى هؤلاء الشبَّانَ المتمدنين بأكثر من التمدن . . . .

يُبالغُ الخبيث فى زينته ، وما يدرى أن زينته مُعْلِنَةٌ أنه انسانٌ من الظاهر . . . .

ويبالغ فى عَرض رجولتهِ على الفتيات ، يحاولُ إيقاظَ المرأةِ الراقدةِ فى العذراء المسكينة .

ليس لامرأةٍ فاضلة إلا رَجُلُها الواحد ؛ فالرجالُ جميعاً هم مَصائبُها إلا واحداً .

واذا هى خالطت الرجال ، فالطبيعىُّ أنها تخالطُ شَهَوات ، ويجب أن تحذَرَ وتُبالغ .

أيتها الشرقية ! احذرى احذرى !

* * *

إحذرى فان فى كل امرأة طابَعَ شريفةٌ مُتهوِّرة ؛ وفى الرجال طابعُ خسيسةٌ متهوِّرة .

وحقيقةُ الحجاب أنه الفصلُ بين الشرفِ فيه الميل الى النزول وبين الخِسَّةِ فيها الميل الى الصُّعود .

فيكِ طبائعُ الحبِّ والحنان ، والإيثار ، والإخلاص كلما كَبُرْتِ كَبُرَتْ

طبائعُ خَطِرَة ، إن عملتْ فى غير موضعها . . . . جاءت بعكس ما تعمله فى موضعها .

فيها كلُّ الشرف ما لم تنخدعْ ، فاذا انخدعتْ فليس فيها إلا كلُّ العار .

أيتها الشرقية ! احذرى احذرى !

***

إحذرى كلمةً شيطانيةً تسمعينها فى قيمةِ الجمال أو قيمةِ الأُنوثة

وافهميها أنتِ هكذا : واجبات الأُنوثة وواجبات الجمال .

بكلمةٍ يكون الاحساسُ فاسداً ، و بكلمة يكون شريفاً .

ولا يَتَسَقَّطُ الرجلُ امرأةً إلا فى كلمات مُزَيَّنَة مثلها . . . . .

يجب أن تَتَسَلَّحَ المرأةُ مع نظراتها ، بنظرة غضب ونظرة احتقار .

أيتها الشرقية ! احذرى احذرى !

***

إحذرى أن تُخْدَعى عن نفسك . إن المرأةَ أشدُّ افتقاراً الى الشرف منها الى الحياة .

إن الكلمةَ الخادعةَ إذ تقالُ لك ، هى أختُ الكلمة التى تقال ساعةَ انفاذ الحكم للمحكوم عليه بالشنق . . . .

يَغترُّونك بكلمات الحب والزواج والمال ، كما يقال للصاعد الى الشَّنَّاقة[١] : ماذا تشتهى ؟ ماذا تريد ؟

الحب ؟ الزواج ؟ المال ؟ هذه صَلاةُ الثعلب حين يَتظاهَرُ بالتقوى أمام الدَّجاجة . . . .

الحب ؟ الزواج ؟ المال ؟ يا لحمَ الدَّجاجة ! بعض كلماتِ الثعلب هى أنيابُ الثعلب . . . . .

أيتها الشرقية ! احذرى احذرى !

***

(١) كلمة « المشنقة » ليست عربية ، ولكن لها وجهاً فى الاشتقاق ، غير أن كسرة ميمها تجعلها ثقيلة ، وكان اسمها قديماً « الشناقة » ذكرها ياقوت فى معجم الأدباء ، وهى أفصح وأخف ، فلعل الشناقة بعد هذا تشنق المشنقة . .

إحذرى السقوط . إن سقوط المرأة لِهوْلهِ وشدَّتِهِ ثلاثُ مَصَائبَ فى مصيبة :

سقوطُهاهى ، وسقوط من أوجدوها ، وسقوطُ من تُوجدهم .

نوَائبُ الأُسرةِ كلُّها قد يسترها البيتُ الا عارَ المرأة .

فَيَدُ العارِ تقلب الحيطانَ كما تقلبُ اليدُ الثوبَ فتجعلُ مالا يُرى هو ما يُرى .

والعارُ حكمٌ يُنفِّذُه المجتمعُ كلُّه ، فهو نفىٌ من الاحترام الانسانى .

أيتها الشرقية ! احذرى احذرى !

***

لو كان العارُ فى بئرٍ عميقةٍ لقلبَهَا الشيطانُ مِئْذَنَةً ووقف يُؤَذِّنُ عليها .

يفرحُ اللعين بفضيحة المرأة خاصةً كما يفرح أبٌ غنىٌّ بمولود جديد فى بيته . . . .

واللصُّ ، والقاتل ، والسكِّير ، والفاسق ، كلُّ هؤلاءُ على ظاهرِ الانسانية كالحرِّ والبرد .

أما المرأةُ حين تسقط ، فهذه من تحت الانسانية هى الزّلزلة .

ليس أفظع من الزّلزلةِ المُرْتجَةِ تَشُقُّ الأرض إلا عارَ المرأةِ حين يشقُّ الأُسرَة

(طنطا) مصطفى صادق الرافعى

محمد بك المويلحى

للأستاذ عبد العزيز البشرى

قبل أن أتحدّث عن هذا الرجل الذى يجب أن يتحدّث عنه مدوّنو تاريخ الأدب العربىّ فى العصر الحديث — قبل هذا أحب أن أقول فى هذا الباب شيئاً عاماً . ذلك بأننا اعتدنا أن نُغفل الكلامَ فى سيرة من عاصرناهم ، ورأيناهم ولا بسناهم ، إلاّ أن يكون القولُ من جنس هذه المراثى التى تُضفَى فيها حللُ الثناء ، ويُكال فيها المديحُ فى العادة ، بغير حساب . ولقد يكون هذا الثناء حقاً أو قريباً من الحق ، بحيث لا يؤذى التاريخ فى كثير ولا قليل ، ولكنه لا يمكن أن يجلو على الأجيال المستقبلة شيئاً من حقيقة الرجل ، لأن الكاتبين فى هذه الحالة لا يُعنَون ببسط حياة الرجل ، وظواهر خلاله ، والعوامل البارزة فى تكوينه ، ومطبوع عاداته ، ولو ما يتّصل منها بالأسباب العامّة . وذلك من أيسر الأمور لأنهم عرفوه بالمشاهدة ، واستيقنوه بالملابسة وطول الاختبار . وهذا ولا شك مما يهيئ للقادمين دراسته وتحليله دراسة إن لم تنته إلى أصدق النتائج ، فهى أدنى إلى الصدق من غيرها على كل حال

وليس يذهب عن القارئ أن إهمال المعاصرين ، على هذا النحو ، لابدّ مفضٍ إلى إحدى حالين : إما إلى إدراج كثيرين من رجال الآداب والفنون فى مطاوى النسيان ، أو التحيّف من أقدارهم بقدر كثير أو قليل ؛ وإما إلى تجليتهم ، إذا تراخى الزمان فى غير صورهم ، ونحلهم صفاتٍ وخلالاً لم تكن لهم ، بحكم العنعنة فى رواية الأخبار ، والاتكاء فى تحليل نفس الرجل على ما صدر عنه من الآثار . وكثيراً ما يضل الباحث المستنتج فى هذا أبعدَ الضلال . هذا إلى ما فى معاناة مثل تلك البحوث من إضاعة للوقت ، ونفقة من الجهد ، وتجشّم للعناء

وأغلب الظن فى هذا الأغفال من المعاصرين لمن عاصروهم من رجال الفنون والآداب يرجع إلى أن الرجلَ العظيمَ قلّ أن يراه معاصروه بالعين التى يراه بها الخالفون ، فهو فى الغالب إذا استحق منهم ترديد ذكره والهتاف باسمه ، وتدوين سيرته ، فقلّ أن يُعنى أحدٌ بتقصى عاداته ، والتسلل إلى مداخله ، وعرض ما يلابس الأسبابَ العامّة من سائر أموره ، أو لأنهم لا يُعنَون بهذا لأنه حاضر لمعاصريه قريب منهم . فهو فى حكم المبذول الذى ينال منه من شاء أن ينال . ولا شك أن فى هذا ضرباً من الغفلة عن أن الحاضر سيغيب على الزمن ، وأن المبذول سينقبض ، وأن مافى متناوَل اليد اليومَ ستتقطّع من دونه غداً علائق الآمال !

ولقد يسكت النقدةُ عن تقصّى ذلك عمداً ، والتلبّث بتحليل الرجل ، وردّ العوامل فى تكوينه إلى مناجمها حتى ينطوى الزمن عليه وعلى أهله ، وعلى أشياعه وخصومه من معاصريه ، حتى يتهيأ الجوّ للبحث والتحقيق ، لا رغبة ولا رهبة فيه ، فيكون البحث أنور وأصفى ، وتخرج النتائج أدقّ وأوفى

وهذا مذهب فى الرأى له أثره وله خطره ، بالرغم من أنه يفوّت على المؤرخ المدقق من عناصر الحكم ما قد يسيء فى بعض الأحيان إلى حكمه ، فاذا هو طلبها تصحيحاً لبحثه ، فلن ينالها إذا نالها صادقة إلاّ بعد أن يتجشّم فى سبيلها عرَق القربة كما يقولون !

على أننى فى هذا لا أذهب إلى القول بنشر المعايب ، واستظهار المكاره ، حتى لا يثير المدوّنُ ثائرةَ الأهل والصحاب والأنصار ، إنما أريد أن يجلو المعاصرُ ، من غير ذلك ، كلَّ ماله خطرٌ فى تكوين الرجل ، فاذا كانت هناك مغامز لا ينبغى إغفالها فى تجليته وتحليله ، فليسجّلها على أن يكتمها حتى يجلّيها لوقتها ، أو يجلّيها من بعدَه من الأعقاب

وعلى أى حال فان إغفال هذه الأمور التى نحسبها فى غالب الأحيان من التوافه ، كثيراً ما يخل بحق التاريخ ، ويُفضى إلى الجهل بالجمّ من حقائق الأشياء . ولست أجد فى هذا الباب مثلاً أيسرَ ولا أدنى إلى الحسّ من أننا ، لولا مهبط البعثة العلمية التى صحبت الحملةَ الفرنسية فى سنة ١٧٩٨ ، ما اهتدينا بسهولة أو ما اهتدينا أبداً إلى أزياء جدودنا وتمثّمهم من قرن وثلث قرن من الزمان ، فكيف بمن هم أعلى من هذا وأبعد فى مذهب التاريخ ؟

ولو قد عُنى أهل كل عصر بأن يحفظوا لخلفهم نماذج من ثيابهم ، وآلاتهم فى سائر حوائجهم ، وفعل هؤلاء مثل فعلهم لظلّت سلسلةُ الأزياء واضحةً على وجه الزمان

ولعل من الخير أن أنبّه فى هذا المقام الى أن محاولة كشف

الرجل من آثاره المحفوظة لاتجدى كثيراً فى الأبانة عن خلاله ومداخل عيشه ، حتى مظاهرها . بل إنها لكثيراً ما تكون من وسائل الضلّة فى إثبات التاريخ . ولست أسوق لهذا أكثر من مثلين اثنين : ذلك بأنك لو اتكأت فى طلب خلال الجاحظ على مجرّد آثاره لخرج لك منها أنه كان أزهد الناس فى المال ، وأنه لو سقط ليده لكان أجود به من الريح المرسَلة . فان أحداً لم ينع الشحّ ولم يذم الأشحّاء كما نعى الجاحظ وكما ذمّ : وإن أحداً لم يؤلف كتاباً فى (البخلاء) أبلغ فيهم ايجاعاً ، وأشد لهذه الخلة وأصحابها إقذاعاً ، كما صنع الجاحظ . ومع هذا لقد كان هو نفسه من أشد المبخّلين الذين أوفوا على الغاية من الجشع ، والحمل على المروءة أحياناً فى طلب المال

وإنك لو التمست مثل هذا فى أبى الفرج لخرج لك من آثاره أنه كان أجمل الناس سمتاً ، وأنظفهم بدناً وثوباً ، وأشدهم أخذاً للنفس بأدق آداب السلوك فى طعامه وشرابه ، وغير ذلك من أسبابه . ولكن الواقع أنه كان من أشد الناس شرهاً ، وأقبحهم مؤاكلة ، وأقذرهم خلْقاً وثوباً ، حتى ليصح فى بعض خلّته قول الشاعر :

وسخ الثوب والعمامة والبِرْ ذَونِ والوجهِ والقفا والغلام !

ولو لا أن معاصرى هذا وهذا أثبتوا لكل منهما ما أثبتوا لزلّت فيهما الأقلام ، وضلّت الأوهام !

* * *

بعد هذا آخذ فى حديث أستاذى ورئيسى وصديقى العالم الفيلسوف ، الأديب ، الكاتب ، الناقد ، السيد محمد بك المويلحى رحمة الله عليه

من أكثر من ثلاثين سنة خلت ، ولمّا أزل بعدُ فى أيام الفتوّة ، وفى صدر طلب العلم فى الأزهر ، صدرت فى مصر جريدة أسبوعية سياسية أدبية باسم (مصباح الشرق) فى أربع صفحات دون صفحات الجرائد التى تصدر الآن مساحة ، ولون ورقها يضرب الى الحُمرة . ويقوم بتحريرها ابراهيم بك المويلحى وابنه السيد محمد المويلحى . وكانت عامّةُ الصحف الأسبوعية قد وصلت فى ذلك العهد من المهانة والفسولة والأسفاف وتفاهة الموضوعات الى أبعد الحدود

مصباح الشرق

لقد كان هذا « مصباح الشرق » شيئاً طريفاً حقاً ، لقد كان أبلغَ من طريف ، فانه لأعجوبة حقاً ، لقد كان هذا « مصباح الشرق » أبلغَ من أعجوبة ، إنه لشىء يكاد يتصل بحكم الخوارق فى تلك الأيام !

بلاغة بليغة ، ولفظ جزل متخيرّ ، وديباجة مشرقة ، وصيغ مونقة ، ونسج متلاحم ، وأسلوب ليس وراءه فى هذا الذى يدعونه السهلَ المتنع

أدب بارع ، علم وفلسفة ، وبحوث رائعة فى سياسة الأمم وفى الأخلاق وعلوم الاجتماع ، منها المبتكر المنشأ ، ومنها المترجم من مختلف اللُّغى فى عبارة عربية بليغة سلسلة ناصحة واضحة لاتستروح منها أى ريح للاستعجام . وهل رأيت قط ترجمات السابقين فى عصر بنى العباس ؟

مذهب طريف فى النقد ، نقد الأشخاص ، لاعهد للأدب العربى به من قديم الزمان ؛ بل لعله لاعهدَ له به من أول الزمان !

لم تكد تطالع الناس هذه الصحيفة الدقيقةُ الجِرم مرتين أو ثلاثاً حتى أصبحت من بعض شُغل الخاصة فى هذه البلاد !

لايدخل الأصيل فى يوم الخميس من كل أسبوع إلا وقد زاغت أبصار ، وتكرّشت جِباه ، وتقلّصت شفاه ، وتداركت أنفاس ، ووجفت قلوب . هل رأيت انفلات الطائر بعد طول الاحتباس ؟ . كذلك كان يترقب الخاصةُ مشرق « المصباح » وسرعان ماتخطفه اليد الراجفة فتشقه ، وسرعان ما يشيع البصر كلّه فى مساحة النقد كلها ، لا يَستقرّ على موضوع خاصّ ، ولايتحيزّ فى حديث معين . بل إنه لينساح على الصفحة كلها انسياحاً ليدرك قبل رد الطرف أشكّ المويلحى اسمَ صاحبه فيمن شكّ أم أرسلَه فى جملة الطُّلَقاء ؟ ! حتى إذا اطمأن الرجلُ الى أنه قد كُتبت له السلامةُ لجمته ، ألقى الصحيفة بين يديه ، وجعل يطامن من نَفَسه ، ويبسط من خلقه ماتقبّض ، ويفرخ من روعه ماتحبّس

وإذا كان هذا شأن من لم تصب منهم أقلام المويلحيين ، فاحكم أنت ، عصمنا الله وإياك ، كيف كانت حال من تنال منهم هذه الأقلام ؟

على أنه مما ينبغى أن يُذكر هنا ، أن « المصباح » لم يكن يعرض قطُّ لأعراض من يتولاهم بالنقد ، ولا يتدسَّس إلى مكارههم ، أو يتتبع عوراتهم ، بل لا يتناول من أمورهم إلاّ ما كانوا يعرضونه هم من ذات أنفسهم ، أو ما يدُلّون هم عليه بآثارهم وظاهر أعمالهم ، فلقد كان « المصباح » أجل من ذلك موضعاً وآنفَ كرامة

وإنه ليستحدث لوناً طريفاً من النقد لا عهدَ لأدب مصر به ، بل لا عهدَ به للأمم العربية جمعاء . وهذا النوع من النقد يقوم ، فى الجملة ، على التماس الجانب الضعيف فى أثر الرجل ، فيَعرضه بالقلم فى صورة (كاريكاتورية) يزيد فى تشويهها ما يتوافى لذهنه الدقيق من ألوان التشبيه ، وما يحضُره من فنون الاستشهاد والتمثيل ، ولا يبرح يمطّ الموضوع فى هذه الناحية بالتوليد وطلب المناسبات القريبة ، والملابسات الدانية ، تسندها النكتة البارعة ، ويسعفها التندّر البديع ، حتى ينتهى الى ما لا ينتهى اليه أحدٌ من الناقدين !

ولقد كان هذا من « مصباح الشرق » الأصلَ الثابتَ لهذا اللون من النقد ، أعني النقد (الكاريكاتورى) فى مصر . كما كانت صحيفةُ المويلحيّين (أبو زيد) أول ما عُرف ، فيما أعرف أنا ، من التصوير (الكاريكاتورى) فى هذه البلاد . ولعلى ألمع إلى هذه الصحيفة فى بعض هذا الكلام

لم ينته خطب « مصباح الشرق » الى هذا الموضع فحسب ؛ بل لقد كان ، على أنه صحيفة لا تظهر فى جميع الأسبوع إلاّ مرة واحدة ، يروى من جلائل الأخبار فى الأسباب العامّة ما لا تبلغه الصحف اليومية ، على شدة ارتصادها لمثل ذلك ، وإذكاء عيونها الكثيرة فى طلبه وتقصّيه ، فكانت أمهات الصحف اليومية لا تتحرّج فى كثير من الأحيان من نشر مهامّ الأخبار نقلاً عن « مصباح الشرق » الأسبوعية مضافة اليها معزوّة لها . وفضل « المصباح » فى هذا السبق العجيب إنما كان لجلالة محل ابراهيم بك المويلحى عند أولى الأمر كلهم ، وخفة روحه ، ولطف مدخله ، وسعة حيلته ، حتى ليستخرج منهم بهذا ما لا يخرجون عنه لغيره من رواة الأخبار

ولا أحبّ أن أجوز هذا الموضع من الكلام قبل أن أقول إن « المصباح » أول من جلا للناس براعة الجاحظ وعبقرية ابن الرومى بما كان يختاره لهما من بدائع المنثور وروائع المنظوم قبل أن تقع العيون من آثارهما على كتاب أو ديوان ، وأول من عالج النقد الأدبىّ لما تنتضح به قرائح الشعراء ، وأعنى به ذلك النقد الرفيع الغالى ، الذى جمع بين أساليب النقد فى أزكى عصور العربية ، وبين طرائقه التى اختطّها نَقَدة الغربيين فى هذا الزمان

وعلى الجملة ، فلقد فتح « المصباح » فى الأدب العربى فتحاً جديداً ، وأمسى « مصباحا » حقاً يهتدى المتأدبون بسناه إذا أرسلوا القول أو اجتمعوا لنظم الكلام . وبهذا وهذا أصبح « مصباح الشرق » أفخر مدرسة لطلب الأدب الرفيع الجزل الطريف فى هذه البلاد . ومما ينبغى أن يُذكر فى هذا المقام أن جماعة الشعراء لقد تعاظمتهم سطوة «المصباح» فى باب النقد فحسبوا له كل حساب ، ويا ويل من لا يتحرى من الشعراء البارزين ما لا يبلغه الجهد كله من التدقيق والتجويد والأحسان

وإنى لأكتفى اليوم من حديث السيد محمد المويلحى بهذا القدر على نية العودة إليه فى القريب إن شاء الله ؟

عبد العزيز البشرى

صحف مطوية من التاريخ الاسلامي

العرب في غاليس وسويسره

للأستاذ محمد عبد الله عنان

منذ عامين كشفت المباحث الأثرية في وادي اللوار بفرنسا على مقربة من مدينة تور ، عن عظام بشرية ، وسيوف ودروع قيل إنها عربية ؛ ورأى فريق من الباحثين الأثريين أن هذه الآثار هي على الأرجح من مخلفات الموقعة العظيمة التي نشبت بين العرب والفرنج في سهول نهر اللوار منذ ألف ومائتي عام (٧٣٢م) ، وارتد فيها العرب أمام جيوش كارل مارتل زعيم الفرنج بعد أن قتل قائدهم عبد الرحمن الغافقي ، وأن اكتشافها يلقي ضياء جديداً على حقيقة المكان الذي نشبت فيه الموقعة ، والذي مازال مثار خلاف بين المؤرخين

وتلك الموقعة الشهيرة هي التي تسميها الرواية الاسلامية بموقعة بلاط الشهداء أو موقعة البلاط ، لكثرة من استشهد فيها من عظماء المسلمين وقادتهم ، وتعرف في الرواية الفرنجية بموقعة تور أو بواتييه لأنها وقعت في السهول التي تمتد بينهما ؛ وتضع الرواية الاسلامية تاريخها في رمضان سنة ١١٤ من الهجرة ، متفقة بذلك مع الرواية النصرانية التي تضع تاريخها في أكتوبر سنة ٧٣٢ م . وقد كانت هاتيك السهول التي تمتد بين تور وبواتييه وتشرف على ضفاف اللوار هي أقصى ما بلغه العرب في فتوحاتهم في قلب فرنسا ؛ وقد عبر العرب جبال البرنيه لأول مرة عقب افتتاحهم لاسبانيا ، وغزوا سبتمانيا (أو لانجدوك) سنة ٩٤ هـ (٧١٣ م) واستولوا على مدينة قرقشونة وثغر أربونة ؛ ثم توالى عبورهم بعد ذلك لجبال البرنيه وتوالت غزواتهم في غالة أو غاليس (جنوب فرنسا) ، في سبتمانيا وفي أكوتين ، ثم في وادي الرون شمالاً حتى بورجونيه ؛ وأنشأوا من فتوحاتهم في غاليس ولاية سميت بالثغر أو الرباط وعاصمتها أربونة ؛ ولما ارتدوا أمام الفرنج في بلاط الشهداء ، احتفظوا مدى حين بفتوحاتهم في غاليس ؛ واستمر لظى الحرب يضطرم بينهم وبين الفرنج في تلك الأنحاء مدى ربع قرن ، والفرنج يستردون مدنهم وأراضيهم تباعاً من أيدي الغزاة ، حتى انتهوا أخيراً بالاستيلاء على أربونة آخر معقل إسلامي في غاليس سنة ٧٥٩ م

وكان ذلك خاتمة الفتوحات الاسلامية المستقرة في فرنسا ؛ ولكنه لم يكن خاتمة الغزوات الاسلامية أو خاتمة النفوذ الاسلامي في تلك الأنحاء . ذلك أن المسلمين عادوا فنفذوا إلى جنوب فرنسا ، ثم إلى بييمون وسويسرة ، وغلبوا على كثير من المواقع والأراضي في تلك الأنحاء أحقاباً طويلة ، ولكنهم كانوا في تلك المرحلة جماعات مستقلة مغامرة تعمل لحساب نفسها أكثر مما تعمل لحساب الحكومات التي تنتمي إليها ، وكانوا مستعمرين أكثر منهم غزاة ؛ وتلك صفحة من تاريخ النضال بين الشرق والغرب والاسلام والنصرانية قلما تعنى بذكرها الرواية الاسلامية ، وإن كانت الرواية النصرانية تشير إلى كثير من وقائعها وتفاصيلها . وسنعنى في هذا الفصل بسرد حوادث هذه الصفحة الغريبة المجهولة ، وبما كان للاستعمار الاسلامي في تلك الأنحاء من الخواص والآثار

كانت أول غزوة إسلامية لفرنسا بعد قيام الدولة الأموية في الأندلس ، في عصر أمير الأندلس هشام بن عبد الرحمن الأموي ، ففي سنة ٧٩٣ م دعا هشام إلى الجهاد ، وأرسل إلى فرنسا جيشاً بقيادة وزيره عبد الملك بن عبد الواحد بن مغيث ، فعبر البرنيه ، وزحف على أربونه ، فلما لم يستطع افتتاحها ، ارتد إلى قرقشونه ؛ وكان شارلمان (أو كارل الأكبر) ملك الفرنج يشتغل يومئذ بمحاربة خصومه على ضفاف الدانوب بعيداً عن فرنسا ؛ فتأهب أمير أكوتين لرد العرب ، وأوفد لمحاربتهم جيشاً بقيادة الكونت دي تولوز ، فالتقى الفريقان في مكان يسمى « ڤيل دني » بين أربونة وقرقشونة ، ونشبت بينهما موقعة غير حاسمة ارتد على أثرها العرب إلى الجنوب مثقلين بالغنائم . وتشير الرواية العربية إلى تلك الغزوة وتقول إن المسلمين استولوا خلالها على أربونة [1] ، ولكن الروايات الفرنجية المعاصرة لا تذكر شيئاً عن هذا الفتح

(١) المقري في نفح الطيب ج ١ ص ١٥٨

وفى سنة ٨٠٦م هاجمت شرذمة قوية من البحارة العرب جزيرة كورسيكا ؛ فبعث بيبن بن شارلمان ملك إيطاليا أسطولاً لقتالهم ، ولكنهم هزموه وقتلوا قائده ، وحصلوا كثيراً من الغنائم والسبى . ولم يمض عامان حتى عاد البحارة العرب إلى غزو شواطئ كورسيكا وسردانية . ثم توالت غزواتهم إليها بعد ذلك ؛ وكانت شواطئ فرنسا الجنوبية عرضة أيضاً لمثل هذه الغزوات البحرية الناهبة ، وكان قوام هذه الغزوات عصابات قوية مغامرة من مسلمى الأندلس وأفريقية تجوس خلال هذه المياه فى سفن خاصة وتثخن فى هذه الشواطئ ، وتعود مثقلة بالغنائم ؛ وكان البحارة المسلمون كالبحارة النورمانيين ، رعب هذه الشواطئ ، وكانت أخبار غزواتهم تدوى فى جنوب فرنسا ، وتعنى الروايات الفرنجية المعاصرة ، ولا سيما الروايات الكنسية بتدوين أخبار هذه الغزوات ، وتبالغ فى تصوير عصفها ووقعها ، وتقول لنا إن البحارة العرب ذهبوا فى جرأتهم إلى حد التجول فى مياه الاطلنطيق ومهاجمة شواطئ فرنسا الغربية ، وإن سفينة عربية كبيرة اجتازت فى ذلك الحين مياه الاطلنطيق حتى مصب نهر اللوار (١)

وفى سنة ٨٣٨ م خرج أسطول عربى من ثغر طراكونه (تراجونا) ومياه البليار ، ورسا فى مياه بروڤانس ، وهاجم ثغر مرسيليا وماحوله من المواقع والأراضى ، وأثخن فيها ، وحمل كثيراً من الغنائم والسبى . وكان على عرش فرنسا يومئذ لويس (لى ديبونير) بن شارلمان ، وكان ملكاً عاجزاً ضعيفاً ، فلما توفى فى سنة ٨٤٠ م ، اضطربت أحوال المملكة ، وضعفت الثغور ، فانتهز البحارة العرب تلك الفرصة ، وغزوا بروڤانس عند مصب نهر الرون ، وهاجموا مدينة آرل ، وخربوا معاهدها . ثم توالت غزواتهم بعد ذلك فى تلك المياه ، وهاجموا مراراً مرسيليا وآرل . وفى سنة ٨٥٠ ، فى عهد عبد الرحمن بن الحكم أمير الأندلس ، عبر المسلمون جبال البرنيه مرة أخرى بقيادة موسى حاكم سرقسطة وغزوا سبتمانيا ، وأثخنوا فى نواحيها ، واضطر شارل « الأصلع » ملك فرنسا أن يعقد الصلح معهم ؛ ومن المرجح أن هذه الغزوة كانت ذات صفة رسمية ، وأن حكومة قرطبة هى التى نظمتها أو أوحت بتنظيمها . وفى سنة ٨٦٩ ، هاجمت شراذم من البحارة العرب بروڤانس مرة أخرى ، واستولت على جزيرة كامارج الواقعة فى مصب الرون ، وأسرت أسقف آرل الذى كان يقيم فيها ، وعادت مثقلة بالغنائم والأسرى

— ٢ —

ولقد أذكى نجاح هذه الغزوات المتوالية فى نفوس المغامرين والمجاهدين من مسلمى الأندلس وأفريقية حب التوغل فى هاتيك الأنحاء ورغبة استعمارها والاستقرار فيها . وكانت أحوال غاليس (جنوب فرنسا) قد اضطربت يومئذ ، وغلب سيد من سادة تلك الأنحاء يدعى بوسون على ولايتى دوفينه وبروڤانس وتلقب ملك آرل ، وقام يناوئه بعض منافسيه ، ونشبت بينه وبينهم حروب أهلية (نحو سنة ٨٩٠) . فى تلك الآونة رست سفينة عربية صغيرة عليها عشرون بحاراً من المسلمين فى خليج جريمو أو خليج سان تروبيه ، ونزلوا الى الشاطئ ، ولجأوا الى غابة كثيفة تظللها الجبال ، ثم هاجموا بعض الضياع القريبة وفتكوا بسكانها . ولما رأوا منعة معقلهم سواء من جهة البر أم البحر ، عولوا على الاستقرار فيه ، ودعوا إخوانهم من الثغور الاسلامية القريبة الى القدوم ؛ وأرسلوا فى طلب العون والتأييد من حكومتى الأندلس وافريقية ؛ فوفد عليهم كثير من المغامرين البواسل ، ولم تمض أعوام قلائل حتى استقروا فى ذلك المكان وأنشأوا لهم سلسلة من المعاقل والحصون أمنعها وأشهرها حصن تطلق عليه الرواية الفرنجية المعاصرة اسم (فراكسنتم) Fraxintem والمظنون أنه هو المكان الذى تقوم عليه اليوم قرية «جارد فرينيه» Garde-Frinet (١) الواقعة فى سفح جبال الألب ، ومازالت ثمة آثار تدل على قيام معاقل قديمة فى ذلك المكان . ولما كثر جمعهم واشتد ساعدهم ، أخذوا فى الاغارة على الأنحاء المجاورة ، وأصبحوا قوة يخشى بأسها ؛ وسعى اليهم بعض الأمراء والسادة المتنافسين يستظهرون بهم بعضهم على بعض ، فلبوا الدعوة ،

(١) جمعت أقوال الروايات الفرنجية والكنسية المعاصرة فى موسوعة « Bouquet » بنصوصها اللاتينية أو الفرنسية القديمة ، وعليها جل اعتمادنا فى استخراج حوادث هذا الفصل

(١) Reinaud; Invasins des Sarrazins en France (P. 160)

وانتزعوا من بعض السادة أراضيهم ، وأعلنوا أنفسهم سادة فى الأنحاء المغلوبة ؛ وبثوا الذعر والروع فى جنوب بروڤانس حتى وصفهم كاتب معاصر « بأن واحداً منهم يهزم ألفاً واثنين يهزمان ألفين »(١)

وكانت هذه أول خطوة فى استعمار العرب لجنوب فرنسا . وفى خاتمة القرن التاسع اتخذ المستعمرون خطوة أخرى . فتقدموا نحو جبال الألب غرباً وشمالاً . وكانت مملكة آرل قد ضعفت واضمحلت ، وخلف بوسون ولده لويس ، ولكنه ذهب الى إيطاليا ليحارب الى جانب حلفائه ، فهزم هنالك وأسر ، وتركت مملكته بلا دفاع ؛ وساد الانحلال والفوضى فى غاليس كلها . فانتهز المسلمون تلك الفرصة ، واخترقوا مفاوز دوفينه ، وعبروا « مون سنى » أهم ممرات الألب الفرنسية ، واستولوا على دير نوڤاليس الشهير الواقع فى وادى « سيس » على حدود پيمون ، وفر الأحبار فى مختلف الأنحاء (سنة ٩٠٦ م) وأغار المسلمون على القرى والضياع المجاورة ونهبوها وفتكوا بأهلها ، وأسر بعضهم وأخذوا الى « تورينو » (بايطاليا) وسجنوا فى ديرها ، ولكنهم استطاعوا أن يحطموا أغلالهم ، وأضرموا النار فى الدير وفى المدينة ، وفروا عائدين الى زملائهم ؛ واشتد بأس العرب فى تلك الأنحاء ، واحتلوا معظم ممرات الألب ، فسيطروا بذلك على طرق المواصلة بين فرنسا وإيطاليا ؛ ثم انحدروا من آكام الألب الى سهول پيمون ، وأغاروا على بعض مناطقها

وفى سنة ٩٠٨ نزلت سرية قوية من البحارة العرب فى شاطىء بروڤانس على مقربة من «إيج مورت» ونهبت دير بسالمودى . وكانت الأديار والكنائس يومئذ مطمح أنظار الغزاة لما كانت تغص به من الذخائر والأموال . وانتشر العرب بعد ذلك فى جميع الأنحاء المجاورة ، واجتاحوا كل ما فى طريقهم من البسائط ؛ وهاجموا مرسيليا وهدموا كنيستها ، وغزوا ايكس ، وسبوا النساء وتزوجوا بهن ليكثر نسلهم ويقووا به ، وانضم اليهم كثير من النصارى المغامرين من أهل هذه الأنحاء ؛ وهجر السادة والأغنياء حصونهم وقصورهم والتجأوا الى الداخل خشية القتل أو الأسر ، وأغلق العرب طريق الألب الى إيطاليا . وكان يمر بها كل عام ألوف من الحاج الذين يقصدون الى رومة ، واقتضوا منهم الضرائب الفادحة ليسمحوا لهم بالمرور

— ٣ —

ثم اتخذ العرب خطوة جديدة فى سبيل التقدم الى أواسط أوربا ، فدفعوا غزواتهم الى بيمون ومونفراتو . وتقول لنا الرواية الكنسية المعاصرة إنهم وصلوا فى أوائل القرن العاشر الى حدود ليجوريا على شاطىء خليج جنوه ؛ ويروى ليوتبراند وهو كاتب معاصر أن العرب غزوا سنة ٩٠٦ مدينة « آكى » من أعمال مونفراتو الشهيرة بحماماتها (وهى على مقربة من تورينو) ، ثم غزوها ثانية سنة ٩٣٥ بقيادة زعيم يدعى «ساجيتوس» ولكنهم هزموا ومزقوا ؛ وفى هذا الوقت أيضاً ، نزلت شرذمة قوية من البحارة الأفريقيين بساحل جنوه ، وقتلت عدداً كبيراً من أهلها ، وأسرت جموعاً كثيرة من النساء والأطفال

وفى سنة ٩٣٩ غزا العرب منطقة « ڤاليه » فى جنوب سويسرا ، ونهبوا دير «أجون» الشهير ، وغزوا فى الوقت نفسه منطقة « تارانتيز » من أعمال ساڤوا الوسطى ، ثم اتخذوا منطقة « ڤاليه » قاعدة للأغارة على الأراضى المجاورة فى سويسرا وإيطاليا ونفذوا منها الى أواسط سويسرا ثم الى « جريزون » فى شرق سويسرا ، ونهبوا دير ديزنتى أشهر وأغنى الأديار السويسرية ، ونهبوا طائفة أخرى من الأديار والكنائس الغنية . وفى بعض الروايات أيضاً أن العرب وصلوا فى غزواتهم الى بحيرة جنيف ، وجازوا إلى مفاوز جورا الواقعة فى شمالها . وكانت سويسرا يومئذ من أقاليم مملكة بورجونيه ، وملكتها يومئذ « الملكة برت » الوصية على ولدها الطفل كونراد ، فارتدت حين اقتراب العرب الى حصن ناء فى جهة نيوشاتل

وفى سنة ٩٤٠ غزا العرب فريجوس ، وكانت يومئذ من أكبر وأمنع ثغور فرنسا الجنوبية ؛ وغزوا أيضاً ثغر طولون ، ففر السكان الى الجبال ، وعاث العرب فى تلك الأنحاء ، وخربوا المدن والحصون ، وأحرقوا الأديار والكنائس

ولما اشتدت وطأة العرب فى جنوب فرنسا وبلغ السخط من غزواتهم وعيثهم ذروته ، اعتزم سادة الجنوب وعلى رأسهم هوج ملك بروڤانس أن يبذلوا كل ما فى وسعهم لسحق ذلك

(١) Reinaud; ibid; P. 161

العدو المزعج ؛ ورأى هوج أن يبدأ بافتتاح حصن فرا كسنيه (فرا كسنتم) الذى يمتنع به العرب ويتخذونه قاعدة لتأمين مواصلاتهم مع اسبانيا وأفريقية ، وقاعدة للأغارة على الداخل ، وكتب الى صهره امبراطور قسطنطينية يطلب منه أسطولاً من قاذفات النار اليونانية حتى يستطيع مهاجمة العرب من البر والبحر معاً . فلبى نداءه ، وفى سنة ٩٤٣ رسا اسطول بيزنطى فى مياه ثروبيه ، وزحف هوج فى نفس الوقت بجيشه على فرا كسنيه ؛ وهوجم العرب من البر والبحر بمنتهى الشدة وأحرقت سفنهم ؛ ونفذ هوج الى الحصن بعد قتال رائع ، وفر العرب الى الآكام والربى ، وكاد يسحق سلطانهم فى تلك الأنحاء . ولكن حدث عندئذ أن علم هوج أن خصمه ومنافسه بيرانجيه قد عاد الى إيطاليا لينازعه فى انتزاع عرشها ، فصرف هوج الأسطول ، واضطر أن يعقد الصلح مع العرب بشرط أن يقفوا فى رؤوس الألب وممراته وأن يغلقوا الطريق الى إيطاليا فى وجه خصمه ؛ وبذلك استعاد العرب قلاعهم وسيادتهم فى جنوب بروفانس

واحتل العرب آكام الألب وممراتها ، وفرضوا الضرائب الفادحة على المسافرين ، واستطاعوا بسيطرتهم على ممر سان برنار الكبير الموصل بين سويسرا وإيطاليا وغيره من الممرات والمعاقل الجبلية ، أن يجتاحوا الانحاء المجاورة ، وأن يبثوا فيها الذعر والروع واستقرت منهم جموع كبيرة فى السهول والضياع القريبة من معاقلهم ، وتزوجوا بالنساء الأسيرات ، وزرعوا الأرض ، واكتفى أمراء هذه النواحى بأن يحصلوا منهم بعض الضرائب

ونفذ العرب أيضاً الى منطقة نيس إحدى ولايات مملكة آرل الجنوبية ، واجتاحوا شاطىء ليجوريا كله (جنوه) ؛ بل يظهر أن سرية منهم استقرت فى نيس ذاتها ، وما زال فى نيس الى اليوم حى يعرف بحى العرب Canton des Sarrazins

وأخيراً نفذ العرب الى قلب ولاية دوفينه وغزوا مدينة جرينوبل واحتلوها مدى حين ، واحتلوا واديها الخصيب ، « جريزيفودان » الذى يجرى فيه نهر الازير فرع الرون ، وفر أسقف جرينوبل وزملاؤه الى الشمال حاملين لرفات قديسهم (١)

للبحث بقية

محمد عبد الله عنان
المحامى

(١) Reinaud; ibrid; P. 180 & 181

٨ - الشخصية

للأستاذ محمد عطية الابراشى
المفتش بوزارة المعارف

(٣) الشعور بالواجب :

من الوسائل التى تساعد على التنفيذ ، وعلى تقوية الشخصية العملية ، تلك الصفة الحية وهى الشعور بالواجب ، وإجابة نداء الضمير ؛ فالانسان حينما يشعر بوازع نفسى بأنه يجب عليه أن يفعل كذا ، أو بأنه يجب عليه ألا يفعل كذا ، فان هذا الشعور وحده يرمى إلى مغزى خاق ، ويستدعى نشاطاً عقلياً لفعل الشىء أو محاربته ، فهو بمثابة مؤثر داخلى يؤثر فيه تأثيراً قوياً . وإن إجابة هذا المؤثر أو الباعث النفسى خير كفيل لاستنهاض الهمة ، ومضاعفة العزيمة . قال « إمرسُون » إن الانسان إذا استحثه الواجب لأن يقوم بعمل ما ، قام به » وليس الشعور بالواجب أو تلبية نداء الضمير ، أو الصوت الداخلى ، مقصوراً على طبقة دون أخرى ، ولا على جيل من الأجيال ، ولا سنّ من الاسنان

وإذا تذكرنا أن الشعور بالواجب يتضمن حكم النفس وضبطها ، أمكننا أن ندرك العلاقة بين الشخصية وبين الشعور بالواجب وإجابة الداعى النفسى ؛ ففى كل أمر من أمور الحياة نجد أن هدوء البال ، وراحة الضمير ، والاطمئنان ، والجمال — ثمرة من ثمرات الطاعة ، ومراعاة القوانين العلمية والفنية

وإننا إذا بحثنا فى تاريخ العظماء والأدباء والفنانين ، وجدنا أن ذوى الشخصيات الخالدة (فى التاريخ) كانوا من ذوى الضمائر الحية الحساسة ، الذين يجيبون نداء الضمير ، ويصغون إلى صوت الله فيهتدون بهديه ، وكانوا يحسون بالواجب فيقومون به ، ويعملون على تنفيذه . وكثيراً ما يكون الضمير الحى والشعور بالواجب سبباً فى إنقاذ الانسان من صروف الحياة ، ومن السقوط إلى الهاوية فلا يكون فريسة للنفس الشريرة . فكل إنسان تفتح

أمامه السبل المختلفة ، ولكن الروح الطاهرة لا تفكر إلا فى الطرق الشريفة السامية ، أما الروح الدنيئة فلا تنظر إلا الى الطرق الدنيئة ، ومعظم الناس يسلكون طريقاً وسطاً . وإن الشعور بالواجب ، وحب الفضيلة ، والتمسك بالخير تكسب الشخص قوة وروعة ووقاراً ، وتبعث فى نفسه الحياة ، وتقوده الى الطريق السوى ، وتعوده الصبر والمثابرة ، وتقوى الارادة ، وهى التربة الصالحة التى فيها تنمو وتثمر الشخصية القوية الغنية

(٤) قوة الوازع الدينى :

إننا فى البحث فى الشخصية الانسانية لا يمكننا أن ننسى الدين وأثره ، والوازع الدينى وقوة تأثيره فى حياة الانسان ، فكثيراً ما يواجَه الانسان بأزمات وشدائد لا قبل له بها ، ولولا الثقة بالله والايمان به لجزع ، وتملكه اليأس ، واستولت عليه الهموم من كل جانب . ولكن الوازع الدينى هو الذى ينتشله من وهدة القنوط ، ويبعث الأمل فى نفسه ، ويحييه من يأسه ، وينير الطريق أمامه بعد أن كان مظلماً ، ويهديه بعد الضلال ، ويسليه عند الشدة . فالعنصر الوجدانى قوى فى العقيدة الدينية ، وهو يستحث الشخص فى أداء الواجب ، وإرضاء الضمير ، والصبر ، والمثابرة ، ويوحى إليه بفعل الخير واجتناب الشر ، ويدعوه إلى الحركة والعمل فى الحياة ، ويرشده ، فيعمل الانسان العمل وكله أمل وثقة بالله ، يؤدى واجبه ويترك النتيجة لله ، لا يفكر فى الماضى ؛ لأنه قد فات . وينظر فى الحاضر ، ويترك المستقبل لله يفعل ما يشاء . وبهذه الوسيلة يهدأ باله ، ويطمئن خاطره ، وتقوى شخصيته ، ويكون سعيداً فى الحياة . والانسان عادة يطمئن الى رجال الدين والمتدينين الذين يثقون بالله تمام الثقة ، ويفعلون ما يفعلون ابتغاء مرضاة الله . أما الرجل الذى لا دين له فلا ضمير له ، ولا يمكنك أن تطمئن اليه

ومعظم المصلحين فى العالم كان الوازع لهم فى الاصلاح دينياً ، أمثال الأنبياء والخلفاء والأئمة من المسلمين ، وهليل والربانى «عقيبة» من الاسرائيليين ، ومارتن لوثر ، وكارليل ، ورسكين من المسيحيين . فالوازع الدينى هو الذى أمدهم بثروة فى العقل ، وقوة فى الروح ؛ وعظمة فى الخلق ، فأثروا فى جيلهم ، وفى الأجيال التى أتت من بعدهم . ولسنا اليوم فى حاجة الى رجال يقومون بالواجب فحسب ، ولكننا فى حاجة إلى رجال يمكنهم أن يحثوا غيرهم على القيام به

الخلاصة :

وصفوة القول أننا فى الشخصية العملية نحتاج الى ما يأتى :

(١) أن يكون لنا غرض معين فى الحياة ، نعمل للوصول اليه بحيث نعتمد على أنفسنا ولا نكون صدى لأصوات غيرنا فنكرر ما يقولون ونفعل مايفعلون ، ولا نتأثر بهؤلاء المترددين الذين لا يعرفون لهم غرضاً فى الحياة ، ولا يثبتون على حال ، ولا نشغل أنفسنا بكثير من المشروعات التى لا يمكن تنفيذها ، بل بمشروع واحد فى وقت واحد ، ثم نعمل على إجادته وتنفيذه ، ثم الابتداء بغيره وهكذا

(٢) أن يكون لدينا حب شديد لأعمالنا ، ورغبة كبيرة فى تكملتها ، ونعمل على ألا نفقد تلك الرغبة فى تهذيبها ومضاعفتها

(٣) الشعور بالواجب والقيام به فى الحال على أكمل وجه ، فلا نؤخر عمل اليوم الى الغد ، ولا نفكر فيما سنحصل عليه من الجزاء عند القيام بالعمل ، بل نجعل الجزاء أمراً ثانوياً ، ونؤدى العمل لا لشىء إلا لأنه يجب أن يؤدَّى ، ونثق بغيرنا كما نثق بأنفسنا ، ولا نهزأ بالمثل العليا التى يتخذها سوانا

(٤) قوة الوازع الدينى مع التمسك بالدين ، بحيث لا نفكر فى الماضى ، ونعمل على الانتفاع بالحاضر ، ونقوم بواجبنا كما ينبغى ، ونترك المستقبل لله . وبهذه الوسيلة نستريح وتستريح نفوسنا ؟

(تم البحث)

محمد عطية الابراشى

كيف ولمـــاذا

سافرت إلى أوربا؟

للأستاذ ابراهيم عبد القادر المازني

منذ بضع سنوات — أربع أو مائة ، لا أدرى ! — استقر عزمى على قضاء الصيف فى لبنان ، فجمعت ما عندى من الثياب القديمة ، وحشوت بها حقيبة ، وقلت أقضى أياماً فى الاسكندرية ثم أبحر منها الى بيروت . وهناك — فى الاسكندرية ، لا بيروت — لم أدع شركة ملاحة الا دخلت مكتبها واستفسرت من رجالها عن البواخر ، حتى الذاهبة الى الهند ، ومواعيد وصولها ورحيلها . وكنت أخرج من كل مكتب بحزمة من الأوراق ، فيها صور مُغرية وأسعار منفّرة . فاتفق يوماً أن لج وكيل « شركة سيتمار » فى تزيين السفر لى على الباخرة « اسبيريا » الى ايطاليا ، وكان الوقت ظهرا ، وأنا جوعان ، فدار رأسى ، ووهن عزمى ، وكدت أنقده ثمن التذكرة ، ولكنى تذكرت أن « الجواز » يحتاج الى « تأشيرات » فاعتذرت به وانصرفت

وعدت الى فندق « بوريفاج » فى أقصى « الرمل » وكنت مقيماً به ، وأسرعت الى مائدتى فجلست اليها ، وكنت مهموماً مكروباً موزع النفس ، بين لبنان والباخرة « اسبيريا » — أى والله ! كأنما كنت سأقضى الصيف كله على ظهرها ! — فناديت الخادم وطلبت قليلاً من النبيذ عسى أن يذهب عنى الفتور ،

وملأت الكأس ، وتناولتها ، ورفعتها الى فمى ، فسمعت من ورائى — صوتاً ناعماً رخيماً يقول :

« المازنى — هذا — حشرة ! »

فارتدت يدى عن فمى ، وهى ترعش ، وسالت عليها قطرات من النبيذ ، ومضى الصوت الحلو يفرى أديمى :

« حشرة حقيرة — يجب سحقها بالأقدام . »

فتلفت مذعوراً وقد خيل الىّ أن العيون كلها صارت علىّ ، وتمنيت لو أن إدارة الفندق تحرم الكلام على الطعام ، أو تجىء بموسيقى فتغرق فى أنغامها العالية القوية هذه الأصوات الحلوة !! ولكن الكلام لم يكن محظوراً ، ولا موسيقى هناك ، فسمعت مكرها :

« سكير لا يفيق ، ومعربد لا يرعوى »

فقلت فى سرى « يا خبر اسود ؟ ! أنا سكير لا أفيق ؟ ؟ أنا عربيد ؟ ؟ » ودهشت ، ولو أن رجلا كان يزعمنى كذلك لما حفلت نفسى ماذا يقول عنى ، ولكنها فتاة — فتاة على التحقيق .. صوتها وحده دليل على ذلك — تذكرنى بلهجة المحنَق ، كأنما كنت قد قتلت أباها ، — قاتله الله على أى حال ! — وكان الخادم قد وضع أمامى شَبّوطة[1] مغرية ، ولكن نفسى انصرفت عنها وزهدت فيها ، فاضطجعت وأنا أعجب للذين يؤاكلون هذه الفتاة لماذا لا يتكلمون ؟ ؟ وما لهم لا يغيرون هذا الموضوع

« رجل مستهتر ، لا يبالى ماذا يقول عن نفسه ، ويظن لسخافته أن هذا من الظرف » فلم أعد أطيق هذا الطعن ، واشتهيت أن أكتم أنفاسها بالفوطة ، ولكني طويتها — أعني الفوطة — ووضعتها على المائدة وهممت بالقيام ، فسمعتها تقول :

« على كل حال ماذا ننتظر ؟ إن « اسبيريا » تسافر بعد غد ، واذا لم نشتر التذاكر غدا تأخرنا وفاتتنا . . . »

وتسللت ، كاللص ، ولكن بعد أن خالستها النظر ورأيت وجهها ، من غير أن ترانى ، وكانت مع الأسف جميلة . فزاد عجبى ، فان الحسنَ رىٌّ ولينٌ ، وهذه الفتاة تحمل لى فى جوفها بركاناً فائراً بالسخط والنقمة وكل ماينافى معانى الجمال . فقرضت أضراسى وأقسمت لأسافرن على هذه الأسبيريا لأرى آخر هذه الحكاية

وأقبل الليل ، وكنت أتمشى فى حديقة الفندق ، وحدى ، كما لا أحتاج أن أقول ، وكنت لا أزال أحدث نفسى بما سمعت من أوصافى ، وكان صدرى كالخضم المضطرب ، وكان الخدم يروحون ويجيئون فى أرجاء الحديقة تلبية لنداء المنادين أو تصفيق المصفقين ، وكان الأطفال يجرون هنا وهنا ، وأنا ذاهل عن هؤلاء وأولئك جميعاً بالحجارة التى صكت سمعى على الطعام ، فكنت أخطو خطوات ، وأقف وأقول لنفسى :

(١) الشبوط والشبوطة سمك عريض ذيله دقيق

« حشرة . . . ! »

فقال صوت « أفندم ؟ »

قلت — غير عابئ به أو جاعل بالى إليه — « حشرة حقيرة .. تستحق السحق بالأقدام » واستأنفت السير ، أو الخطو ، وتركت الخادم — فقد كان أحد الخدم — يسخط ويلعن ، أو لا يدرى هل يضحك أو يغضب.

وإنى لفى ذهولى هذا ، وإذا بصرخة خافتة ، فالتفت مسرعاً إلى مصدرها ، فبصرت بفتاة حانية على غصن مريج علق به ثوبها ، فوثبت إليها وأعنتها على تخليص الثوب ، ولكن بعد أن تخرق

وقلت وأنا أنفض التراب عن كفى وأشير إلى الثقوب الظاهرة فى ثوبها :

« ليس هذا ذنبى . . إنه ذنب البستانى المهمل الذى يربى هذه الألفاف ليزين بها الطريق ولا يعنى بتقليمها . . . . »

فقالت : « على العكس . . . إنى شاكرة لك نجدتك ، ولولاك لصار الثوب فى يدى هلاهيل ... فأنا مدينة لك ... »

فرفعت عينى إليها فاذا بها هى التى سلقتنى على المائدة بلسانها وحرمتنى لذة الطعام وأنا جائع أتضور ، فارتددت عنها مقدار خطوة وندت عن صدرى آهة مخنوقة :

فقالت وهى تدنو منى :

« ماذا بك ؟ »

ورأتنى أتكلف الابتسام فقالت : « بالدور . . . أنت مرة وأنا مرة »

فقلت : « لا شىء . . . لاشىء . . . »

فألحت « ولكن ماذا بك ؟ »

قلت : « أوه ... لا شىء ، لم أكن أحسب أنك أنت ... »

فقالت مستغربة : « ولكن بالطبع أنا أنا . . . »

قلت : « طبعاً . طبعاً . إنى سخيف »

قالت « هل تعرفنى ؟ »

قلت : « أعرفك ؟ الجواب نعم ولا »

قالت : « كيف يمكن هذا ؟ ماذا تعرف عنى ؟ »

قلت : « أقل مما تعرفين عنى »

قالت : « لا مؤاخذة ، ولكنى لا أعرف عنك شيئاً »

قلت : « صحيح ! ؟ »

قالت : « بالطبع صحيح ! إنى لم أرك إلا الساعة »

فتنهدت وانحط عن صدرى حجر ، وقلت : « الحمد لله ! ، ياما أكرمك يارب ! »

فقالت : « ولكن لماذا تتكلم هكذا ؟ لست أفهم شيئاً ... »

قلت : « أحسن »

قالت : « هل معنى هذا أنك تخشى أن أعرفك ؟ »

قلت : « جداً جداً جداً ! »

فضحكت وقالت « هل أنت مجرم هارب ؟ »

قلت : « شر من مجرم ، وبودى لو أستطيع الهرب ولكن إلى أين ؟ كلا . لست مجرماً ولكنى حشرة ! »

فصاحت « إيه ؟ حشرة ! »

قلت : « أى نعم . حشرة حقيرة . . . »

فوضعت راحتها البضة على كتفى وقالت : « لا تتكلم هكذا ! هل أنت مريض ؟ »

قلت : « نعم . نعم . نعم . »

قالت : « مسكين ! ماذا بك ؟ »

قلت : « أذنى . . . أذنى . . . آه من أذنى »

والمصيبة أنى كنت أبتسم ، فقد راقنى هذا الموقف على الرغم مما أجن من الحقد على الفتاة ، فأقبلت علىّ ، وجعلت تهون من أمر أذنى وتشير علىّ بأن أضع فيها قطرة أو قطرتين من «الجليسرين» ، وأن أبلع قرصاً من «الأسبيرين» فشكرتها وافترقنا

***

وفى صباح اليوم التالى ، مررت « بقلم الجوازات » وبدار « القنصلية الايطالية » ، ثم استخرت الله وذهبت إلى مكتب « شركة سيتمار » ، وطلبت تذكرة على الباخرة « اسبيريا » وإذا بالفتاة تقول لى :

« وأنت أيضاً مسافر عليها ؟ »

قلت : « نعم . هل هناك بأس ؟ »

فضحكت وقالت : « كيف أذنك اليوم ؟ »

قلت : « أذنى ؟ آه ! صحيح ! تطن »

قالت : « يظهر أنها شفيت . . . »

فهممت بأن أقول شيئاً ولكن الرجل سألني عن اسمى ، ولم أكن أتوقع هـذا ، فهبط قلبي إلى حذائى ، ونظرت من الفتاة إلى الرجل ، ومن الرجل إلى الفتاة ، وقلت :

« اسمى ؟ ولكن هل هذا ضرورى ؟ »

فقال « لا . . . ولكن يحسن . . . إن أسماء الركاب تكتب وتوزع على الباخرة »

وكنت قد أنقدته قبل ذلك ثمن التذكرة ، فلولا هـــذا لعدلت ، فقلت :

« اسمى ؟ اسمى ؟ أظنه . . ابراهيم . . نعم . . ابراهيم عبده »

وقالت الفتاة ونحن خارجان :

« هل هذا اسمك الحقيقى ؟ »

قلت : « هل تعرفين اسمى الحقيقى ؟ »

قالت : « لا . . . إذن هذا اسم مستعار ؟ معذرة إذا كنت أتطفل . . . »

قلت : « لا لا . . . ليس اسماً مستعاراً . . . انه اسمى من الآن فصاعداً »

فهزت رأسها وقالت وهى تبتسم : « ليس لى حق ، هذا فضول لايغتفر . . . سامحني »

فقلت : بلهجة الجد الصارم « أسامحك ؟ كلا ! أبداً . . . أبداً . . . »

فتعجبت ، ولها العـذر ، وقالت : « هل أسأت اليك بشيء ؟ انى آسفة ! »

قلت : « أسأتِ ؟ أسأتِ فقط ؟ لقد قتلتني يافتاتى ! »

قالت : وهى تدير وجهها لترى وجهى

« أتمزح أم تتكلم جاداً ؟ »

فواجهتها وقلت : « هل تعرفين أنى أمزح ؟ ؟ كلا ! أعني نعم . قتلتني . . . طعنتني هنا » (وأشرت إلى موضع القلب)

فضحكت وقالت : « بهذه السرعة ؟ ! إنك حساس جداً »

قلت : « نعم . جداً . فاتقى أن تدوسيني بقدميك . . . »

قالت : « ولكن لماذا أدوسك بقـــدمى ؟ لست أفهم كلامك . . . . »

قلت : « لأنى حشرة . . . »

قالت : « أوه ! لاتقل هذا .. لماذا تشتم نفسك هكذا ؟ »

قلت : « نعم حشرة ، وحشرة حقيرة أيضاً . . . »

قالت : « أوه ! إنك تضجرنى بهذا ار . . . »

قلت : « وسكير عربيد . . . . »

فوقفت فى الطريق وصاحت

« أهو أنت ؟ »

فقلت — مقلداً — : « بالطبع أنا أنا ! »

قالت : « وسمعتني ؟ »

قلت : « كل كلة . . . خرقت أذنى كالمسمار المحمى »

قالت : « إنى آسفة . . . جداً . . . وأعتذر »

قلت : « آسفة ؟ همم . وأنا أنفلق ! لابأس . هيا بنا . . . »

قالت : « لقد تعمدت ذلك . . . »

فصحت بها : « إيه ؟ كان هذا كله الى الآن تمثيلاً ؟

قالت : « نعم قلت ماقلت عمداً . . . عرفتك من وجهك ومن . . . لامؤاخذة . . . من رجلك . . ولكنك تؤثر الوحدة ولاتبالى الناس وتتقى أن تكلمهم ، بل تهرب منهم ، فماذا أصنع غير ذلك ؟ »

قلت : « كنت تستطيعين أن تمدحيني مثلاً فأسر . . . أم هذا حرام ؟ »

قالت : « والآن ألا تعفو عنى ؟ »

قلت : عفونا ياستى ! بعد أن غرمنا ثمن تذكرة الى أوربا بلا داع !

قالت : « إيه ؟ »

قلت : « نعم . كنت مسافرا الى لبنان ، فلما سمعت منك بعض الحقائق . . . »

فاحتجت : « لاتقل الحقائق . . . »

« أردت أن أعرف البقيـة . . . فقد أوصانا سقراط أن نعرف أنفسنا »

فوضعت كفها على فمى

فلم أقبلها — أعني كفها — ولكني عضضتها عضة مغيظ ، ولم أبال صراخها فى الطريق !

ابراهيم عبد القادر المازنى

من تراثنا العلمي

٢ - فضائل مصر لابن زولاق

وصف وتلخيص لنسخة مخطوطة

للأستاذ علي الطنطاوي

تتمة

باب : إن المأمون قارن مصر بالعراق

١ — صفة مصر وخبرها :

قال : كان سعيد بن عفير بحضرة المأمون وهو بمصر فسمعه يقول لعن الله فرعون حين يقول : أليس لى مُلك مصر . فلولا رأى العراق ! فقال : يا أمير المؤمنين ، لا تقل هذا فان الله عز وجل يقول : ودمّرنا ما كان يصنع فرعون وقومه وما كانوا يعرشون . فما ظنّ أمير المؤمنين بشيء دمّره الله هذه بقيته (ثم وصف مصر وأنهارها وقناطرها وأرزاقها وخلجانها السبعة وما كان من خبرها ، وخبر الخليج الاسلامي الذي حفر في زمان عمر)

٢ — ذكر كور مصر ، وما في كل كورة من أصناف البز والأواني والفواكه والسلاح والطعام والشراب وجميع ما ينتفع به الناس

(وذكرها كورة كورة ، وذكر ما فيها في فصل طويل ، وأحال في مواضع منه على تاريخه . وقال وهو يتكلم عن اسكندرية) وقد شرحت ذلك مستفيضاً في كتابي التاريخ الكبير في أخبار الاسكندرية

(الى أن قال) : وذكرت الحكماء أن عجائب الدنيا ثلاثون أعجوبة منها عشرون بمصر والعشرة في سائر الدنيا :

مسجد دمشق ، وكنيسة الرها ، وقنطرة سنجا ، وقصر غمدان ، وكنيسة رومية ، وصنم الزيتون بصقلية ، وحجر العوارى ، وايوان كسرى ، وبيت الريح . . . ؟ وكنيسة بعلبك

وبمصر من العجائب ما يغني عن هذا ويربو عليه (؟) فمن عجائبها : مدينة منف وقد ذكرناها ، ومن ذلك عين شمس وهي هيكل الشمس ، وبها قدّت زليخا على يوسف القميص ، وبها العمودان الاذان لم ير أعجب منهما ولا من بنائها وهما محمولان على وجه الأرض بغير أساس طولهما في السماء خمسون ذراعاً الخ .. ومن عجائب مصر البرابي بأخميم وسمنود وفيها الصور أمثال الفرسان والرجالة الخ . . (وذكر لها خبراً طويلاً) ومن عجائب مصر أمر الهرمين الكبيرين الخ .

٣ — ذكر النيل وأموره

٤ — وصف مصر وتمثيلها :

(ذكر وصف عمرو بن العاص ووصف غيره من الولاة مصر . وتكلم عن خراج مصر وكيف كان يصرف كلاماً طويلا ذكر فيه مقدار الخراج في زمن الفراعنة الأولين وفي أيام يوسف ومصارفه ، وذكر أن عمرو بن العاص جباها عام الفتح عشرة آلاف ألف دينار ، فكتب بذلك الى عمر ، فكتب اليه عمر بن الخطاب يعجزه ويقول جباها الروم عشرين ألف ألف دينار ، فلما كان العام المقبل جباها عمرو اثني عشر ألف ألف دينار ، فلما وليها عبد الله بن سعيد بن أبي سرح لعثمان جباها أربعة وعشرين ألف ألف . فقال عثمان لعمرو وكان عنده في المدينة : درّت بعدك اللقحة يا أبا عبد الله . فقال : أضررتم بالفصيل

ثم انحط الخراج الى ما دون الثلاثة آلاف ألف . إلا في أيام هشام ، ثم قصر الى سنة ٢٥٤ ، فلما وليها أحمد بن طولون استقصى العمارة وبالغ فيها فجباها أربعة وعشرين ألف ألف الخ)

٥ — ذكر مقبرة مصر وفضائلها وذكر مقطمها

٦ — ذكر ما تختص به مصر دون غيرها من الملبوس والمركوب والمأكول والمشروب (في فصل طويل)

٧ — في أسماء الشهور القبطية (وما كانوا يصنعون في كل واحد منها)

***

هذه أبواب الكتاب وفصوله ، وفي الكتاب أشياء رواها المؤلف على علاتها ولم يسلك فيها سبيل التحقيق ، كالذي جاء به عند الكلام على المواضع المشرفة في مصر ، وعجائب مصر ، وخبر الأهرام . وفيه أشياء نافعة وجليلة .

ولكي نزيد القارىء بياناً نقدم اليه هذه النبذة مما ورد في الكتاب نموذجاً لأسلوبه :

قال : (ذكر ما في مصر من ثغور الرباط والمساجد الشريفة وما فيها من شركة شرف الحرمين وسائر الدنيا . فأما مشاركتها للحرمين وأعمالها — (؟) ولما أمكن الواردين اليها من كل فج عميق المقام بها يوما لنفاد أزوادهم وأنهم إنما يمتارون من ميرة مصر . وقال بعض المتكلمين : لو أن رجلاً عابداً ترك التصوف وأقبل على العبادة وأن آخر تم له بكفايته وسائر مئونته من كسوة وطعام وشراب لـ ان شريكه فيما يعمله وأن له أوفر أجرة ، وكذلك مصر منزلة من الحرمين . ومن فضايلها أن الذى بنى الكعبة رجل من قبط يكنى أبا قدم . ومصر فرضة الدنيا ويحمل من حيزها الى سواحلها وكذلك ساحلها بالقلزم ينقل الى الحرمين والى جدة والى عمان والى الهند والى الصين وصنعاء وعدن والشحر والسند وجزاير البحر ، ومن جهة تبنيس ودمياط والفرما فرضة بلدة الروم وأقاصى الفرنجة وقبرص وسائر سواحل الشام والثغور الى حدود العراق ، ومن جهة الاسكندرية فرضة اقريطش وصقلية وبــلد الروم والمغرب كله الى طنجة والسوس ومغرب الشمس ، ومن جهة الصعيد فرضة بلد المغرب وبلد البربر و — (؟) والحبشة والحجاز واليمن . وأما ما فيها من ثغور الرباط فمن ذلك : رباط البرلس ، ورباط رشيد ، ورباط الاسكندرية ، ورباط ذات الحمام ، ورباط البحيرة ، ورباط اخنا ، ورباط دمياط ، ورباط شطا ، ورباط تنفس (؟) ورباط الاستوم ، ورباط الفرما ، ورباط النفار ، ورباط الفرادة ، ورباط العريش ، ورباط الشجر بين وما ينضاف الى هذه الثغور وجهاتها ، ورباط الخيرس من جهة الحبشة والحة (؟) ومايقرب منهم (كذا) ورباط أسوان على النوبة ، ورباط الواحات على البربر والسودان ورباط قوص . وقد روينا فى أول هذ الكتاب قول الرسول عليه السلام : إن مصر خير أجناد الأرض . فقال له أبو بكر : ولم يارسول الله ؟ قال لأنهم وأزواجهم وأبناؤهم فى رباط إلى يوم القيامة [١] وكانت برقة وطرابلس من ثغور مصر إلى أن خرجت فى ســنة ثلاثمائة فأضيفت إلى رباط المغرب . وأما المساجد الشريفة والمشاهد المظيمة فان بمصر مساجد هى مشاهد والعمل فيها [٢] منه فى غيرها سوى الحرمين ، فمن ذلك مسجد سليمان عليه السلام فى الأسكندرية ، ومسجد يوسف عليه السلام بمنف ، ومسجده بطرا ، ومسجده بوادى المقطم . وللخضر مسجدان منها مسجده بالاسكندرية ، ومسجده بلبوهة فى أسفل الأرض ، ومسجد ذى القرنين بالأسكندرية عند النحات . ومنها مسجد الأقدام وهم قوم من أهل المقام قتلوا على موالاة أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه ، ومسجد عقبة ابن عامر الجهنى بسوق وردان ، ومسجد مسلمة بن مخلد بسوق وردان ، ومسجد الزمام بنى على رأس محمد بن أبى بكر بناة علامه زمام وجعله مشهداً ورأسه فى موضع المنارة ، ومسجد — (؟) بنى على رأس زيد بن على بن الحسين بن (— على) أبى طالب أنفذه هشام بن عبد الملك إلى مصر نصب على هذا المنبر ووقف عنده — (؟) فسرقه أهل مصر . ودفنوه فى هذا الموضع ، ومسجد درب الكندالذى الزقاق فيه قبر الحسين بن زيد بن حسن بن على بن أبى طالب أرسله أبو جعفر المنصور بن العباس الى الأمصار فأخذه أهل مصر فدفنوه فى هذا الموضع واتخذوه مسجداً . وبمصر مساجد الصحابة سوى ماذكرنا الخ)

***

هذا وليس على الكتاب تعليقات للقراء إلا تعليقة واحدة على أسماء الشهور القبطية قال كاتبها :

(قوله أشهر الأعجمية القبطية المراد هذه الشهر على الأبراج الفلكية الاثنى عشر برج ، لأن كل برج من هذه الأبراج سموه باسمه فى لغتهم فأول الأبراج وهو الحمل سموه توت ، وثانيه الثور سموه بابه ، وثالثه جوزا سموه هتور ، ورابعه سرطان سموه كيهك ، الخامس أســـد سموه طوبا ، والسادس السنبلة سموه امشير ، ٧ ميزان سموه برمهات ، ٨ الثامن عقرب سموه برمودة ، ٩ قوس سموه بينس ، العاشر الجدى سموه بؤنه ، الحادى عشر دلو سموه آبيب ١٢ حوت سموه مسرى)

***

وكأن هذا الفصل الأخير (مطلب فى أسماء الشهور القبطية) ملحق بالكتاب وإن جاء قبله بجملة فيها معنى الختام قال :

وقالوا فى مصر كلاما محفوظاً : طينها عجب ، ونيلها ذهب ، ورجالها قصب ، ونساؤها رُطب ، وهى لمن غلب . وقالوا فى الكوفة : اقرأ الناس للقرآن لايجاوز تراقيهم . وقالوا فى أهل البصرة

(١) نحذر القراء أن يحفظوا هذا الحــديث ويرووه قبل معرفة درجته ورواته (٢) هنا كلمة ناقصة لعلها كلة أفضل والصحيح أن الصلاة فى المساجد كلها إلا الثلاثة سواء فى الفضل

نعم وردن معاً وصدرن شتاً (١). وقالوا فى أهل الشام أطوع الناس لمخلوق وأعصاهم لخالق وأجرأهم على أمر لايدرون ماهو . وقالوا فى أهل الحجاز : أجرأهم على فتنة وأعجزهم عنها . وقالوا فى أهل الموصل كناسة بين قريتين . وقالوا فى أهل واسط منزل بين كنيفين . وذكروا الحديث المسند : (إن مصر يساق إليها أوائل(٢) الناس أعماراً) . والبلدان فيها الطوال الأعمار وفيها القصار . إن طول الأعمار فى سر وحمير ، وجو اليمامة ووادى فرغانه . وقد جعل لمصر نصيب من ذلك فى طوال الأعمار بمربوط وقرا بالحفار . وقد ذكرنا لمصر من الفضائل ما أغنى وكفى ، ووصفنا الحكماء الذين كانوا بها وأنها معدن الحكمة التى انتشرت فى أيدى الناس ، وليس يوجد فى الدنيا بلد زينه أهله زينة مصر فى أبنيتها ونهرها وإتقان أمرها وبالله التوفيق

وإن فى الكتاب كثيراً من العبارات المضطربة . وفيه كلمات ليست بالواضحة وإن فيه كثيراً من الأخبار التى لم تصح ، ترد غالباً عند ما يتكلم عن تاريخ مصر القديم . كقوله :

(ذكر من كان بمصر من عيون الفرسان والشدة : عوج ابن عنق قتله موسى عليه السلام وجره الناس على النيل فمروا عليه شهراً ، قال . وكان طول سرير عوج بن عنق ثمانمائة ذراع وعرضه أربعمائة ذراع ، وكانت عصاة (هكذا) موسى عشرة أذرع ، وضربه موسى فأصاب كعبه فخر على نيل مصر فجسره الناس فمشوا على صلبه وأضلاعه سنة وقيل شهراً الخ)

وقوله :

(ومن الفراعنة الذين جربوا الدنيا وغلبوا على مصر بختنصر وهو من قرية من قرى بابل يقال لها نفد ، ودخل مصر فى ستمائة ألف فارس وراجل ، راكباً على أسد ورد ، متقلداً سيفاً طوله عشرة أشبار وعرضه شبر ، أخضر النصل كالسلق ، يتحدر منه شبه ماء السدر ، وغمد من ذهب مرصع بالجواهر والياقوت الأحمر مكتوب عليه :

وأنت إن لم ترج أو تتق	كاليت محمولاً على نعشه
لا تنحس السر فتصلى به	فقل من يسلم من نحسه
وأخمد السر فان هجته	واحذر لأعدائك من حبسه
للبحر أقراش لها صولة	فاحذر لأعدائك من قرشه
إذا طفى بالكلى شحم الكلى	أدخل رأس الكبش فى كرشه
وناطح الكبش له ساعة	يأخذه الناطح من كبشه
وكم نجى من يدى أعدائه (كذا)	وميت مات على فرشه
من يفتح القفل بمفتاحه	نجا من التهمة فى فتشه
ونابش الموتى له ساعة	يأخذه ابليس من نبشه
لله فى قدرته خاتم	تجرى المقادير على نقشه

***

وهذا ختام المخطوط :

(وهذا جملة ما أودعناه هذا الكتاب باختصار بغير إسناد ولم أثبت فيه شيئاً إلا وقد رويته واختصرته ليقرب على من أراد وبالله التوفيق ، ولو لم يكن لمصر فضل إلا أن العزيز عليه السلام امامها . والوزير أيده الله ملكها وعاملها ومدبرها لكان فضلاً عظيما وبالله أستعين . تم الكتاب بحمد الله وعونه وحسن توفيقه)

دمشق علي الطنطاوي

(١) هكذا ولعلها أشتاتاً (٢) لعلها أطول

بين فني التاريخ وفن الحرب

٨ - خالد بن الوليـــد *

في حروب الردة

للفريق طـــه باشا الهاشمي

رئيس أركان الجيش العراقي

« لقد شهدت مائة زحف أو زهاءها وما في بدني شبر إلا وفيه ضربة أو طعنة ، وهأنذا أموت على فراشي كما يموت البعير ! فلا نامت أعين الجبناء »

خالد بن الوليد

والغريب في ذلك أن الفرق كانت تعيش مستقلاً بعضها عن بعض ، وكانت تتقاتل بخلاف فرق القبائل الأخرى . ولعل الداعي الى ذلك أنها كانت حسيمة لا يمكن لرئيس واحد السيطرة عليها ، وأنها في بلاد جعلتها بمأمن من غزوات القبائل الأخرى فلم تر الفرق والبطون حاجة الى الوحدة

ويظهر أن مالك بن نويرة استطاع أن يستميل سجاحاً الى جانبه لقرابتها منه ، وأراد أن يستغلها لمصلحته فيضرب بها الفرق المخالفة له ويرأس بني تميم بالقوة ، أما هي فكانت تريد أن تستفيد منه للهجوم على المدينة . ومال وكيع بن مالك رئيس بني حنظلة الى جانبه . وهكذا مالت شعب بني مالك الى جانب سجاح

وكانت الشحناء قبل ذلك شديدة بين رؤساء بني تميم كما نعلم . ولما ورد خبر وفاة الرسول عليهم أرسل بعضهم الصدقات الى المدينة ، وانتظر بعضهم ما يصنع البعض الآخر . ويروى أن قيس بن عاصم رئيس مقاعس والبطون قال « واويلنا من ابن العكلية — يريد به الزبرقان — والله لقد مزقني فما أدري ما أصنع ، لئن أنا تابعت أبا بكر وأتيته بالصدقة لينحرنها في بني سعد فيسودني فيهم ، ولئن نحرتها في بني سعد ليأتين بها أبا بكر فيسودني عنده » فعزم قيس على توزيع الصدقات على مقاعس والبطون ففعل ؛ وعزم الزبرقان على الوفاء بارسال الصدقات الى المدينة .

(*) وهو بحث في قيم لا يضطلع بمثله اليوم فيما نعلم غير كاتبه الفاضل « الرسالة »

وكانت النتيجة أن نشب القتال بين عوف والأبناء من جهة والبطون من جهة أخرى ، وبين الرباب من جهة ومقاعس من جهة أخرى . وبين خضم وحنظلة وبين بهدى ويربوع

ولما وصلت سجاح الى الحزن أرض بني يربوع واتفقت مع مالك ابن نويرة والتحق بها وكيع بن مالك شرع مالك ينفذ خطته ليرأس بني تميم ، فبدأ بقتال الرباب وعوف والأبناء ، فلم يظفر بهم بل دارت الدائرة عليه وعلى سجاح ، فوقع وكيع أسيراً بيد الرباب . وأرادت سجاح أن تجرب حظها مع بهدى وخضم من شعب بني عمرو فكان نصيبها الخيبة أيضاً . فلما لم تظفر بطائل تركت مالكاً وانسحبت برجالها من بلاد بني تميم وسارت الى اليمامة

هذا هو الموقف حين كان خالد يجول ويصول في بلاد بني أسد ولم يكن يجهله ، لذلك لم يكد ينتهي من أمر بني أسد حتى تراه قد انتهز الفرصة وأمر جيشه بالمسير الى أرض بني تميم دون أن ينتظر أمراً من الخليفة ، وهكذا نراه يستعمل إبداعه ويسير جيشه نحو البطاح رغم مخالفة الأنصار له مدعين أن عهد الخليفة اليهم أن يقيموا بعد فراغهم من بزاخة إلى أن يكتب اليهم . إلا ان خالداً تقدم نحو البطاح قائلاً لهم إنه هو الأمير واليه تنتهي الأخبار وإن لم يأته أمر من الخليفة ، فانه لا يريد أن يضيع الفرصة مادام مالك بن نويرة بحياله . وشعب بني تميم نافرة منه . لذلك لم يتردد خالد في الذهاب اليه من دون الأنصار

والواقع أن مالك بن نويرة بقي وحيداً بين بني تميم ، لأن صفوان بن صفوان كان قد أرسل الصدقات الى المدينة وكذلك الزبرقان ، أما قيس بن عاصم فكان عليه ، وكذلك وكيع بن مالك لما سمع بانتصارات خالد أرسل صدقات بني حنظلة اليه . فبقي مالك حائراً ماذا يعمل ، وكان بالبطاح مع رجاله من بني يربوع ، والبطاح أرض دون الحزن ، وهي ذات مراتع خصبة وفيها مياه كثيرة ، فالقصيبة والبريدة من مواقعها

وندم الأنصار على تخلفهم لأنهم خشوا أن تصيب المسلمين مصيبة فيلاموا عليها ، فأوفدوا رسولاً إلى خالد يطلبون منه الاقامة إلى أن يلحقوا به ، فأقام خالد حتى لحقوا به فسار الى البطاح . والروايات غير متفقة في أمر مالك بن نويرة . ومن الروايات ما تزعم أن مالكاً قاتل المسلمين برجاله من بني يربوع فقتل في القتال .

ومنها ما يزعم أنه لما تأكد من الخيبة فرق رجاله وأمرهم بألا يقاتلوا المسلمين ورجع الى منزله ، ولما قدم خالد البطاح بث أربع سرايا الى جهات مختلفة ، فرجعت السرية التي كان يقودها أبو قتادة الأنصاري بمالك والبعض من رجاله

ومن الروايات ما تزعم أن مالكاً حارب السرايا التي أوفدها خالد فقتل ، ومنها ما تزعم أنه وقع أسيراً في القتال فأمر خالد بضرب رقبته مع الأسرى الآخرين ، والبعض الآخر من الروايات تذكر أن خالداً أراد قتل الأسرى بما فيهم مالك ، إلا أن أبا قتادة شهد أنهم أذنوا وقاموا وصلوا ، فلما اختلفوا فيهم أمر خالد أن يحبسوا ، وكانت الليلة شديدة البرد ، فأمر خالد منادياً فنادى أن أدفئوا أسراكم ، وكانت كلمة الدفء في لغة كنانة تعني القتل ، فقتلهم الخفراء، وقتل ضرار بن الأزور مالكاً

وكان قتل مالك على هذه الصورة ، وتزوج خالد بامرأته ليلى بعد قتله بمدة قصيرة . وهذا مما جعل عمر ينقم على خالد فطلب من أبي بكر أن يعاقبه على فعلته هذه ، فاضطر الخليفة الى استقدام خالد الى المدينة وطلب الايضاحات منه ، فلما اقتنع أن خالداً لم يقصد قتل مالك أعاده الى جيش المسلمين وكلفه بالمسير الى اليمامة ليقاتل مسيلمة الكذاب

الحركات في اليمامة

من الصعب التثبت من المدة التي قضاها خالد بن الوليد في البطاح حتى نعلم الوقت الذي تقدم بجيشه نحو اليمامة لمقاتلة بني حنيفة . فيكاد أكثر المؤرخين من العرب يتفق على أن القتال في اليمامة وقع في أوائل السنة الثانية عشرة الهجرية . أما أبو بشر الدولابي واليعقوبي فيزعمان أن القتال وقع في شهر ربيع الأول من السنة المذكورة

فمبدأ السنة الثانية عشرة الهجرية يوافق شهر آذار « ابريل » سنة ٦٣٣ ميلادية . والذي نعلمه أن خالداً توجه من ذي القصة نحو بزاخة في منتصف شهر ايلول « سبتمبر » أو شهر تشرين الأول « اكتوبر »

وقضى خالد في حركته نحو بزاخة أكثر من عشرين يوماً يترقب أخبار طيء . وبعد انتصاره على جيش طليحة بن خويلد مكث في بني أسد مدة غير قصيرة ليقبل إسلام المرتدين ويجمع منهم السلاح . أضف الى ذلك قتاله في ظفر ، وانتظاره مجيء رؤساء بني عامر

ويدعي المؤرخون أن مالكاً بن نويرة قتل خطأً في ليلة شديدة البرد . وعلى ما في كتاب الطبري رواية عن سيف ابن عمر أن الأسرى من بني يربوع حبسوا في ليلة باردة لا يقوم لها شيء . والليالي الشديدة البرد في البادية تقع في أشد شهري الشتاء برداً وهما كانون الأول «ديسمبر» وكانون الثاني «يناير» . إذن وقع القتل بين أواخر كانون الأول وأوائل كانون الثاني ، فتكون حادثة البعوضة (*) وقعت بين شهري شوال وذي القعدة في السنة الحادية عشرة الهجرية

يقيناً أن خالداً قضى مدة غير قصيرة في البطاح ، وقضى وقتاً في ذهابه الى المدينة ملبياً دعوة الخليفة . ولما عاد منها لم يحرك جيشه نحو اليمامة بمجرد وصوله الى المعسكر ، بل انتظر مدة لورود النجدة التي أمد بها الخليفة جيش المسلمين . فيظهر من كل ذلك أن الحركة من البطاح نحو اليمامة وقعت في أوائل السنة الثانية عشرة الهجرية — أي في ربيع سنة ٦٣٣ ميلادية ، في شهر آذار أو شهر نيسان « مايو »

ومن رواية رواها أبو هريرة نستدل على أن سلمة بن عمير الحنفي كان يشجع بني حنيفة على المقاومة بعد معركة عقرباء فينادي قائلاً : « يا بني حنيفة قاتلوا عن أحسابكم ولا تصالحوا على شيء ، فان الحصن حصين وقد حضر الشتاء » . ومعنى ذلك أن الحركات في اليمامة جرت في صيف الثالثة عشرة الهجرية — أي بدأت حوالي شهر مايو لسنة ٦٣٣ ميلادية

منطقة الحركات

اليمامة مؤلفة من مقاطعتي العارض والخرج الحاليتين ، ومقاطعة الخرج من أخصب مقاطعات نجد ، فالماء مبذول فيها وهو على عمق بضعة مترات تحت الأرض . ولما كانت أرضاً منخفضة تنصرف اليها مياه الأمطار من الجبال والهضاب التي تحيط بها ، ومدينة اليمامة — العاصمة القديمة — واقعة فيها

ويدعي كثير من الجغرافيين بأن أرض اليمامة القديمة هي مقاطعة الخرج الحالية . وهذه المقاطعة واقعة في جنوب شرق

---

* البعوضة اسم المحل الذي قتل فيه مالك بن نويرة

العارض ، ويحدها من الشرق وادى حنيفة ، وعلى إحدى شعبه اليمنى بنيت مدينة اليمامة . ولا تزال مقاطعة الخرج من أكثر المقاطعات النجدية نفوساً ، وفيها مراع خصبة وبساتين نخل كثيرة

ويحد المنطقة التى جرت فيها الحركات من الشرق هضبة العرمة ، وهى الهضبة المرتفعة المشرفة على الدهناء ، ومن الغرب الأنفدة الموازية لسلسلة طويق ، ومن الشمال مقاطعة القصيم . والمنطقة جبلية تعد من أوعر مناطق نجد من حيث الوديان والمضايق والروابى والآكام

وتمتد جبال طويق فى وسط المنطقة من الشمال الى الجنوب وهى حجرية كلسية جرداء متموجة ، تتألف من سلسلتين متوازيتين ، وسفوحها الغربية منحدرة ، أما سفوحها الشرقية فقليلة الانحدار . ويبلغ ارتفاعها زهاء ستمائة قدم على الهضبة الغربية . وتمتد الجبال من الشمال الغربى الى الجنوب الشرقى ، وتنكسر فى الوسط وتغير اتجاهها الى الجنوب فالجنوب الغربى فتنتهى الى وادى الدواسر . وفى المحل الذى تنكسر فيه تجرى الوديان من الشرق الى الغرب وتصب فى وادى حنيفة . وهذه الوديان ضيقة وعرة فى محل الانكسار حيث ترتفع سفوحها الشمالية والجنوبية بانحدار شديد

وتنصرف مياه الأمطار التى تهطل على الجبال الى الشرق والغرب فى الوديان والشعب ؛ فمنها ما يصب فى وادى حنيفة ، ومنها ما يكوّن وادى الخفس وشعيب العتشى حيث تنصرف مياهها الى الدهناء . ومنها ما يصب فى مقاطعة الوشم ويسق منخفضاتها ويكوّن واحاتها الخصبة . والشعيب الذى يكوّن وادى الخفس ينبع من جنوبى نادق ويجرى نحو الجنوب الى الحريملة ومنها يتوجه شرقاً . وهذا الشعيب ووادى حنيفة يقسمان الجبال الى سلسلتين : الغربية منهما مرتفعة ووعرة وهى طويق ، أما الشرقية فمنخفضة ولطيفة الانحدار ، وهى روابى العارض فى الشمال وجبل صلبوخ فى الوسط والجبيل فى الجنوب . وأما وادى حنيفة (وهو أعظم واد فى هذه المنطقة) فقد سميت القبائل الساكنة على جانبيه باسمه . وصدره فى الأرض الفاصلة بين العارض من جهة ، والمحمل والسدير من جهة أخرى . ويبدأ الوادى فى ثنية اليمامة فى شرق خشم الحيسية ، ويتكون من عدة شعب يجرى من الشمال الى الجنوب ومن الجنوب الى الشمال . فيستمد الوادى ماءه منها فيجرى من الغرب الى الشرق . وفى جوار عقرباء ، حيث نشبت المعركة الفاصلة بين جيش خالد وجيش مسيلمة ، يغير الوادى اتجاهه فيجرى من الشمال الغربى الى الجنوب الشرقى فى واد يضيق فى بعض المحلات ويعرض فى البعض الآخر ، وهو شديد الوعورة فى الشمال وسهل المجرى فى الجنوب . وعلى حافتى الوادى شيدت القرى والمدائن ، حيث استقيت المياه المنصرفة اليه ، وزرعت البساتين حولها . والوادى فى هذا القسم يتغذى بعدة شعاب ينصب أكثرها فيه من السفوح الغربية

وفى محل انكسار سلسلة طويق تصب فيه عدة وديان بحيث أنها تغير اتجاهه فى جوار السليمية واليمامة ، فيتوجه نحو الشرق فالجنوب الشرقى الى أن ينتهى فى رمال الربع الخالى

وكان من وصايا أبى بكر الى خالد بن الوليد أن يأخذ الحيطة عند الهجوم على أهل اليمامة . وكان الخليفة محقاً فى هذه الوصية ، لأن أهل اليمامة سكان القرى المبنية فى الوديان الضيقة ، وعلى سفوح الجبال الوعرة ، بنوا دورهم بالحجارة ، وسوروا قراهم بالجدران ، وأنشأوا الحدائق بالقرب من قراهم ، وزرعوا فيها النخيل والأشجار وأحاطوها بالحجارة ليمنعوا المارة من دخولها أو ليعتصموا بها عند الحاجة

فأهل اليمامة إذن لا يشبهون أهل البادية فى القتال ، فهم معتصمون بجبالهم المنيعة ، ومعتزون بقراهم المتينة ، وحدائقهم المستحكمة . ولا تزال آثار هذه القرى ظاهرة فى تلك الأنحاء . وهذه القرى كثيرة ومنتشرة على طوار وادى حنيفة ، وفى مقاطعة الخرج ، وفى الوديان والمنخفضات والواحات

« يتبع » طه الهاشمى

في الأدب الدرامي

١٤ – الرواية المسرحية

في التاريخ والفن

بقلم أحمد حسن الزيات

تحليل موجز لرواية هرناني

هرناني Hirnani

درامة شعرية في خمسة فصول نظمها هوجو سنة ١٨٣٠ ومثلت أول مرة في (الكوميدي فرانسيز) يوم ٢٥ فبراير سنة ١٨٣٠ فكان تمثيلها معركة شعواء بين الاتباعيين والابتداعيين تبودلت فيها اللعنات واللكمات بين الفريقين. وكان أنصار المذهب الجديد قد وزعوا قبل يوم التمثيل (تذاكر) مجانية على طلاب المدارس وتلاميذ المصانع، فملأوا مشهد المسرح قبل بدء التمثيل بثماني ساعات. ثم ابتدأ التمثيل على المسرح، والعراك الصاخب في المشهد، حتى أسدل الستار الأخير على فوز الابتداعيين وفشل الاتباعيين

أهم أشخاص هذه الرواية: هرناني، وهو نبيل اسباني اتخذ اللصوصية وقطع الطريق وسيلة لأخذ ثأر أبيه المشنوق في جريمة سياسية؛ ودون كرلوس ملك اسبانيا، وهو الذي قتل أبا هرناني؛ ودون روي جوميز دوق سلفا؛ ودونا سول بنت أخيه التي يريد أن يتزوج منها. وقد وقعت حوادثها في سرقوسة، ثم في قصر سلفا، ثم في إكس لا شابل، ثم في سراقوسة ثانية

ففي الفصل الأول: يعيش هرناني في الجبال مع ذؤبان الأنس، يقطع الطريق ويغير على البلاد؛ وهو يحب (دوناسول) وتحبه، ويغالبه على هذا الحب (دون كرلوس) ملك اسبانيا والشيخ روي جوميز عم الفتاة، ويقع هرناني في خطر داهم فينجو منه بفضل الملك

وفي الفصل الثاني: يقابل هرناني الملك في بيت دوناسول، وقد أقبل في حرسه يخطفها، فيملك حياته وموته. ولكنه يبقي عليه ويخرج، فيجد البيت محصوراً بالجند الملكي فينجو بنفسه بعد لأي

وفي الفصل الثالث: يحكم الملك بالقتل على هرناني ويجعل لمن يأتي برأسه جعالة مالية، فتذعن دونا سول لأحكام القدر وتستسلم لأرادة عمها فترضى أن تتزوج منه. وفي الساعة التي يتأهبون فيها للذهاب إلى الهيكل لعقد الزواج يدخل هرناني القصر في زي حاج يطلب الحماية والجوار من ربه. فاذا ما رأى حبيبته في زينة العروس يظن أنها نكثت عهده، ونسيت وعده، فتهون عليه الحياة ويعلن عن نفسه طالباً القبض عليه. ولكن واجب الضيافة لصاحب القصر يقوم دون ذلك. وليس جوميز ممن ينقض الذمام ويخيس بالذمة. على أنه يفجأ الحبيبين وهما يتساقيان الهوى ويتصارحان بالحب، فيستقله الغضب وترعده الغيرة، ويدخل الحاجب عليه في تلك الحال يعلن إليه قدوم الملك، فقد جاءه يطلب منه تسليم المجرم المحكوم عليه إذ علم أنه لائذ بقصره. فتتنازع الدوق عوامل الشرف والغضب والانتقام، وتتراءى له صور آبائه المعلقة على حوائط القصر تتحرك أمام عينيه تذكرة له وتبصرة، فيغلب الشرف ويخبئ هرناني في مخبأ سري أمين. ويدخل الملك فيعاتب الدوق على أن يجير عليه، ويطلب منه المجرم. فيجيبه جوميز في إباء وشمم أنه يؤثر الموت على أن يسلم جاره. فيغتصب الملك دوناسول ويخرج انتقاماً من عمها وثأراً لنفسه. ويخلو الدوق بهرناني فيرد إليه حياته وحريته بشرط أن يساعده على غسل هذه الاهانة عنه بدم الملك، فيجيبه هرناني إلى ذلك ويضع حياته في يده ضماناً بوعده، فيقسم أن يقتل نفسه متى نفخ الدوق في هذا البوق الذي يعطيه إياه

وفي الفصل الرابع: يسافر الملك في أثناء ذلك الى اكس لاشابل يروض لنفسه الأمور ويهيء الأسباب لفوزه في الترشيح لأمبراطورية ألمانيا، ويأتمر الدوق وهرناني بالملك، ويتوافى المؤتمرون في حندس الليل الى أقباء الكاتدرائية على مقربة من ضريح شارلمان. ويقف دون كرلوس على سر المؤامرة فيجيء الى مكانها يريد أن يفجأ المجرمين وهم جلوس على الجريمة، ويظل مختبئاً ينظر. وتهب عليه في تلك الساعة نفحة من قبر شرلمان وهو الذي يريد أن يخلفه على مجده وسلطانه، فتوحي اليه بتلك النجوى

المشهورة التى تبلغ ستين ومائة بيت من عيون الشعر وغرره ، ويدخل الملك ضريح العاهل فيتسنى له أن يسمع مايقرره المؤتمرون فيعرف أن هرنانى قد انتخب بالقرعة ليقتله . ويدوى فى تلك اللحظة صوت المدفع فجأة فيعلن انتخاب دون كرلوس عاهلا لألمانيا ، فيخرج حينئذ من مكمنه ويدهم المتآمرين فيملأ قلوبهم رعباً ودهشة ، ويريدون الفرار فيجدون المكان محصورا بالجند ، ويتقدم هرنانى فيكشف للملك عن نفسه ويذكره بجنايته على أبيه . ويكون لهرنانى ودونا سول والملك موقف رائع تتجلى فيه عواطف الحب والتضحية والشهامة ، وينتهى بأن يعفو الملك عن جميع المتآمرين ويتخلى عن دونا سول لهرنانى فيستعبد قلبه بهذه الأريحية . ويصبح اللص الشريف صادق الولاء مخلص القلب لأراكان وهو الاسم الجديد للعاهل الجديد

وفى الفصل الخامس : لم تحل هذه النهاية فى صدر الدوق جوميز ، فلا هو رحض اهانته ولا هو نال حبيبته ، فيأبى عليه طبعه أن يسعد غيره بشقوته ، فيدع الزواج يتم والعرس يقام والعاشقين ينعمان معاً بنعمة الحب ولذة القرب ، ولكنهما يسمعان نفخة بوق على بعد ! ثم يدنو الصوت فاذا هو الشيخ جوميز يستنجز هرنانى وعده بأن يقتل نفسه عند نفخة البوق ، فيتوسل العروسان اليه بالرجاء والدعاء والدموع فلا يزداد إلا إصراراً وعناداً . ويظلم اليأس فى عينى الزوجين البائسين فيخرج هرنانى من منطقته قارورة من السم ، فتأخذها منه دونا سول وتجرع نصفها وتقدم الى زوجها الباقى فيشربه ، ويخر الحبيبان صريعين تحت قدمى الدوق ، ويهجم عليه هو أيضاً الندم ووخز الضمير فينتحر على جثتيهما الهامدتين

***

يؤخذ على هذه الدرامة أن العمل الروائى فيها خيالى محض ، ينقصه الصدق والطبيعة ، وأن تحليل أخلاقها سطحى غير عميق ، وأن كثيراً من مواقفها غريب غير ممكن . وتجد هذا العيب أوضح مايكون فى الحل ، فان الدوق جوميز الذى ظل طوال الرواية شهماً كريماً لايسوغ فى العقل أن يكون فى آخرها جامد الشعور زمين المروءة كما ظهر

تتمة

فى الملهاة العامية Farce والمأساة العامية mélodrame

الملهاة العامية هى ملهاة غرضها الأضحاك والالهاء بتصوير العيوب المضحكة تصويراً يتعدى حدود الأدب والحشمة والذوق والامكانية . فهى تقوم على الاحالة والبذاءة ، كما تقوم الملهاة على السخر والأضاحيك

والرأى بين الناس مختلف فى بقاء هذا النوع فى أمة راقية وحكومة منظمة ومسرح مهذب . فالذين يدافعون عن الملهاة العامية يقولون إن الناس يرفهون عن صدورهم بشهودها ، وإن الأذواق ليست واحدة فى تقدير اللهو الرفيع ، وإن العكوف على الجد الخالص واللهو الجدى يتعب الذهن ويكد القريحة ، وإن الجمهور يجب أن تطلق له الحرية فى اختيار ما يلهيه ويسليه

ونحن لاننكر مطلقاً على الملهاة العامية أنها تلهى الجمهور وتسر الناس ، بل نعترف بأن الرومان كانوا يهجرون مسرح (تيرانس) ويحتشدون عند المصارعين والمهرجين ، ولا ننكر كذلك أن القليل فى الناس هم الذين يدركون معنى الحق والجمال والخير ، فيلذهم إدراكه ويمتعهم فهمه ، وأن دهماء الشعب وسواده لايلهيهم إلا المحال الفاحش والبذئ المقذع ، وأن من الأذهان ما يعتريه الكلال من الجد فلا يشحذ إلا بالمزاح الخالى من الذوق والفكر ، ولكن سلطان هذا النوع على الشعب هو مصدر الخطر فيه ومنشأ الضرر منه . فان من يحبه ويميل إليه يكره غيره ويصد عنه . وانصراف الشعب عما يغذى عقله بالحكمة وذوقه بالجمال ووجدانه بالفضيلة ، إلى ما يملأ عينه بالفحش وقلبه بالرجس ولسانه بالبذاء ، مؤد إلى الوهن والانحلال والعدم . ذلك إلى أن اللهو الفارغ تستسهله النفس وتفضله . وإذا استرسل المرء فيه خمدت نفسه بترك الفكر ، كما يخمد جسمه بترك العمل . أما قولهم إن الملهاة العامية لا تضير مادامت تسر ، فذلك مثل قولهم : إن نوع الغذاء لا يهمك مادام يلذك

إن هذه الملهاة خلقت لرعاع الشعب وغوغائه فلتبق لهم ولتحى بينهم ، بشرط أن تظل على شكلها العامى الخشن فى أدب وحشمة ، فتقوم فى الأسواق والأعياد والموالد تحت الخيام والمضارب ، حتى لاتجذب اليها إلا أخشاش الناس ممن تعود أنفه

النتن فلا يشمه، ومرن لسانه على الهُجر فلا يهمه. أما رفعها بفحشها ورجسها الى المسارح الراقية وتمويهها بالرقص والموسيقى، وتزيينها بزخرف المناظر والأزياء، فذلك تذهيب لحافة الكأس المسمومة يشربها الشعب فتقتل فيه عناصر الخير وعواطف الفضيلة!

المأساة العامية (mélodrame)

المأساة العامية درامة تتألف من الحوادث الفاجعة، والمواقف المروعة، والهزل الجريء، وتستعين بالرقص والموسيقى. وقد علق بها اسم (الميلودرام) في منتصف القرن الثامن عشر، واشتهر بتأليفها من الكتاب الفرنسيين (جلبير دُبكسيريكور) و(دوكانج) و(دينيري). ولكن ما كتبوه عافه النقد لتبذله وتسفله. يمتاز هذا النوع بأثره القوي وعمله العنيف. موضوعه إما أن يكون طاغية غشوما يرتطم في مراغة العيب والفحش، أو رئيس طغمة من قطاع الطرق يطارد فتاة طاهرة عفيفة فاضلة، أو خائناً يخب في الضلال ويوضع في الغي، أو حبيباً باسلاً يقع حبيبه في قفص الأشرار فيغالب الأخطار ويصارع الفجار حتى يرد مكرهم ويدفع شرهم، أو غبياً يعقد العمل بغباوته ويحرج الموقف بسخافته. ثم تتدخل العناية الآلهية بعد هذه التقلبات الشديدة، والمشاكل العديدة، فتأخذ للبريء من المجرم وتقتص للفضيلة من الرذيلة. وعملها شديد العنف قوي الأثر، يضحي بالأمكانية في سبيل الضربات المسرحية والمفاجآت القوية، وتعتمد على الخناجر والسموم والحرائق في الأخذ بكظم النفوس، وإثارة الرعب في القلوب. أما موسيقاها فتعبر عن المواقف والعواطف، وتتقدم دخول الأشخاص، ورقصها قد يكون تعبيراً عن معنى وتمثيلاً لفكرة (Ballet) وقد يكون إمتاعاً وتسلية يتخلل حوادث الرواية. وأما أسلوبها فمزيج من البهرج الخالب والعامية المبتذلة، مما يلائم هذه الأفكار التي تشرحها، والعواطف التي تصفها. وماذا تجدي الأساليب الفخمة، والتراكيب المونقة، في جمهور لا يريد أن يتأثر إلا بالزياط والعياط، ولا يتسلى إلا بالصراع والقراع، ولا يعرف إلا أن يقول في نهاية الفصل الخامس وهو مجذوب للحادث مكروب للبطل: آه! رباه لقد نجا!!

على أن مآل هذا النوع إلى الفناء، فان الشعب كلما رقت عواطفه، وتهذب حسه، ودق شعوره، آثر الصدق والامكان، وقدر الفن والبيان، وعاف الصخب والهذر والعنف، ولذلك تجد الدرامة تحتل في كل مكان محل الميلودرام

(يتبع) الزيات

الممهدون للأكتشاف والأختراع

بقلم الأستاذ قدري حافظ طوقان

نشوء العلم وارتقاؤه

يأخذ الانسان ما عمله غيره وسلفه ويزيد عليه، يبدأ من حيث انتهى سلفه ويدخل تحسيناً عليه، ثم يسعى للزيادة على ذلك. بينما يأخذ الحيوان ما عمله سلفه ويبدأ حيث ابتدأ (سلفه) وينتهي به دون زيادة. هذا فرق مهم بين الانسان والحيوان، وهذه ميزة اختصه الله بها، ولولاها لما كان هناك تقدم أو حضارة. وعلى هذا ليست المدنية وما نراه من مظاهر العمران إلا مجموع مجهودات قام بها الأفراد في سبيل ترقية المجتمع من نواحيه المتعددة. وإذا قيل إن جاوس، وفبر، اخترعا التلفون، فليس معنى ذلك أن لهما كل الفضل في إيجاده، وأنهما توصلا إليه بدون الاستعانة بما عمله غيرهما، بل إن لبحوث الذين سبقوهما فضلاً كبيراً عليهما، فلولا ليساج العالم السويسري الذي ظهر في القرن الثامن عشر للميلاد، ولولا سومرنج الألماني الذي قام بعمل تلغراف بواسطة التيارات الكهربائية من بطارية وبواسطة الماء لأعطاء الأشارات، ولولا أمبير الذي نقل في سنة ١٨٢٠ الاشارات بواسطة التيارات الكهربائية في عدة إبر مغناطيسية، أقول لولا كل هؤلاء وغيرهم لما استطاع جاوس وفبر أن يفكرا في التلفون وأن يتوصلا إلى استعمال المغناطيس الكهربائي، حتى أصبح للتلغراف قيمة عملية يمكن الاستفادة منها

ولم يقف الأمر عند هذا الحد، بل إن للتحسينات الجمة التي أدخلها العلماء ستينهيل وكوك ومورس وستون، الفضل الأكبر في تعميم استعماله وجعله سهل التناول، وها نحن أولاء نرى العلماء يدخلون عليه تحسينات أخرى ويتفننون في صنعه

وليست نظرية النسبية بأكملها من نتاج قريحة العالم الشهير ألبرت اينشتين ، وقليلون جداً الذين يعرفون أن لمجهودات وبحوث لورانتز العالم الهولاندى وغيره من علماء الرياضة والطبيعة فضلاً عليها ، فلولاهم ولولا كتاباتهم وبحوثهم وتمهيداتهم لما استطاع اينشتين أن يخرج النسبية بشكلها الذى نعرفه الآن

فليست الاختراعات والاكتشافات اذن إلا نتيجة مجهودات جبارة قام بها أفراد مختلفون اشتغلوا فى ميادين العلوم والفنون ، وهى لم تظهر بشكلها العملى المفيد إلا بعد تمهيدات عديدة وإدخال تحسينات جمة قام بها العلماء فى عصور مختلفة ، ولا يزال القراء يذكرون المقال الشيق الذى نشر فى العدد ٦٢ من مجلة الرسالة بقلم الأستاذ محمود مختار فى موضوع (التلفزة فى عهدها الأول) وقد جاء فيه أن العالم الانكليزى (جون بيرد) طلع فى سنة ١٩٢٦ بجهازه الأول فى عالم التلفزة وقد عرضه على المجمع الملكى فى لندن ونقل صوراً لأجسام بسيطة موضوعة فى غرفة مجاورة ، وكانت الصور كثيرة الاهتزاز عديمة الوضوح . وقد شغل هذا الجهاز الأدمغة الكبيرة ، فقام غير واحد وأخذ فكرة العالم المذكور وعمل على تحسينها وإنمائها حتى وصل الاختراع إلى ما وصل إليه من الأتقان . ولا يزال العلماء يدخلون عليه فى كل يوم تحسيناً ، ولا يزالون يفكرون فى الوسائل التى تجعله سهل التناول فى استطاعة الكثيرين اقتناءه والأستفادة منه

قد يظن القارئ أن ميزة الأخذ عن الغير والزيادة عليه تتجلى فى الفرد دون [illegible] . هذا الظن فى غير محله ، إذ ظهر وثبت أن الحضارات المختلفة تجرى أيضاً على هذه النظرية : نظرية الأخذ عن السلف والغير والزيادة على ذلك

فالحضارة الرومانية استعانت بحضارات الأمم التى سبقتها واستفادت منها فوائد عديدة عادت على الرومان بالتقدم ، وكذلك استعان العرب والمسلمون بغيرهم من الأمم فأخذوا عن اليونان والرومان والهنود والفرس ، وبعد أن أدخلوا على ما أخذوه الاصلاح والتغيير ، زادوا عليه زيادات جعلت الكثيرين من منصفى الغرب يعترفون بعبقرية العقل العربى وبقوته على الأنتاج ، وبخدماته الجلىّ فى رفع مستوى المدنية والانسانية . وحينما انتبهت أوروبا من غفلتها وبدأ فيها عصر النهضة العلمية استعانت بنتاج العقل العربى والاسلامى فى ميادين العلوم المختلفة والفنون المتنوعة . فالحضارة الأوروبية فى صميمها ترتكز على الحضارة العربية والاسلامية وهى لم تستطع أن تتقدم تقدمها العجيب إلا بفضل العرب . قال سارطون إن العرب كانوا أعظم معلمين فى العالم فى القرون الوسطى . واعترف غير واحد بأن العرب قدموا خدمات جليلة فى كثير من فروع المعرفة . وقال ويدمان : إن علماء العرب أخذوا بعض النظريات عن اليونان وطبقوها ، وقد بذلوا الجهد فى تحسينها وإنمائها حتى سلموها للعصور الحديثة . واعترف سيديو بأن العرب أساتذة أوروبا فى جميع الأشياء . . .

ولنرجع الآن إلى مقالنا فنقول : لقد ظهر فى العرب علماء عديدون ابتكروا واكتشفوا واخترعوا فى ميادين العلوم والفنون . وقد وُجد فيهم مَنْ استطاع أن يمهد ببحوثه وتجاربه لبعض اكتشافات واختراعات هى من خطورة الشأن على جانب عظيم ، ولولاها لما استطاع علماء الفرنجة أن يقطعوا شوطاً بعيداً فى التقدم والرقى

التكامل والتفاضل :

علم التكامل والتفاضل من العلوم الرياضية العالية التى لها اتصال وثيق فى الاختراع والاكتشاف ، والتى سهلت كثيراً من المسائل العويصة . هذا الفرع من الرياضيات حديث الوجود ، فقد اكتشفه واكتشف قوانينه الأولية نيوتن وليبنتز فى أواخر القرن السابع عشر للميلاد ، وهو لم يزدهر ازدهاره الحالى إلا بعد زيادات هامة قام بها العلماء فيما بعد . ويظن كثيرون ، بل يعتقد بعض الرياضيين ، أن العلماء الذين سبقوا نيوتن لم يُمهدوا له ولم يضعوا فيه شيئاً جديراً بالاعتبار . هذا خطأ إذ ثبت لدى البحث والتنقيب أن ثابت بن قرة من الذين مهدوا لهذا العلم ، ومن الذين حلّوا مسائل فى إيجاد المساحات والحجوم بطرق تمّ نوعاً ما على طريقة التكامل المتبعة الآن . ويعترف سمث بذلك وبأن ثابت بن قرة هو الذى أوجد حجم الجسم المتولد من دوران القطع المكافئ حول محوره ، وأن العلماء الذين أتوا بعده اهتدوا بنور طرقه فى إيجاد المساحات والحجوم

دوران الأرض :

مما لا ريب فيه أن كوبرنيكس وغاليلو بلغا شأواً بعيداً فى

العلم وفتحا فيه أبواباً كانت مغلقة ، وأماطا اللثام عن حقائق كانت غامضة ، ودقائق كانت غير معروفة ، ولهما الفضل الأكبر فى تثبيت فكرة دوران الأرض ، ولكن كل هذا لا يمنعنا من القول بأنهما سُبقا إلى فكرة دوران الأرض ، وأن السالفين لذلك بعضٌ من علماء اليونان والعرب ؛ فقد كان فيثاغورس يعلّم تلاميذه على طريقة حركة الأرض ، وكان هذا قبل المسيح بخمسمائة سنة ، ثم أتى بعده بطليموس ورمى بهذه الفكرة عرض الحائط وقال بسكون الأرض ودوران الشمس حولها ؛ واشتهرت هذه النظرية كثيراً وأخذها الكثيرون من علماء اليونان والعرب ، وتعجب بعض علماء الفرنجة من قبول البيرونى لهذه النظرية ومن أخذ الفارابى وابن سينا بها . ولقد وُجد فى العرب مَنْ لم يأخذ برأى بطليموس ومَنْ قال بدوران الأرض حول الشمس . جاء فى (المواقف) للعلامة عضد الدين عبد الرحمن بن احمد الذى ظهر فى القرن الثامن للهجرة ما يلى « . . . الحركة اليومية (ويعنى حركة الشمس) لا توجد ، إنما تتخيل بسبب حركة الأرض ، إذ يتبدل الوضع من الفلك دون أجزاء الأرض ، فيظن أن الأرض ساكنة والمتحرك هو الفلك ، بل ليس ثمة فلك أطلس ، وذلك كراكب السفينة فانه يرى السفينة ساكنة مع حركتها حيث لا يتبدل وضع أجزائها منه ، وكذلك يرى القمر سائراً إلى الغيم حيث يسير الغيم إليه . وهذا كله من غلط الحس . . »

من هنا يتبين أن عضد الدين سبق كوبرنيكس فى القول بفكرة دوران الأرض ومهّد السبل لكوبرنيكس وغاليلو للتوسع فى هذه الفكرة ولاستعمال المعادلات والأرقام فى ذلك

الرقاص :

لقد ثبت لدى بعض علماء الفرنجة أن العرب سبقوا غاليلو فى اختراع الرقاص وفى استعماله فى الساعات الدقاقة . جاء فى تاريخ العرب لسيديو مايلى « وكذا ابن يونس المقتفى فى سيره أبا الوفاء البوزجانى ألّف فى رصدخانته بجبل المقطم الزيج الحاكمى واخترع الربع ذا الثقب وبندول الساعة الدقاقة . . . »

واعترف سارطون وسدويك بأن العرب استعملوا الرقاص لقياس الزمن ، وفوق ذلك عرف العرب شيئاً عن القوانين التى تسيطر عليه . قال سمث العالم الأميركى الشهير « ومع أن قانون الرقاص هو من وضع غاليلو إلا أن كمال الدين بن يونس لاحظه وسبقه فى معرفة شىء عنه . وكان الفلكيون يستعملون البندول لحساب الفترات الزمنية أثناء الرصد . . » فهم بذلك مهدوا السبيل لغاليلو لاستنباط كل القوانين التى تسود الرقاص ، إذ استطاع أن يجد أن مدة الذبذبة تتوقف على طول البندول وقيمة عجلة التثاقل وأن يضع ذلك فى قالب رياضى بديع ؛ ومن هذا الوضع توسعت دائرة استعماله وجنى الفوائد الجليلة منه

اللوغارتمات :

ثابت لدينا أن نابيير هو الذى اخترع أساس اللوغارتمات وأنه أول من عمل الجداول لذلك ، ولا يمكن أن تجدُ اثنين يختلفان فيه . وقد كنت أعتقد أن هذا البحث من الرياضيات لم يُمهد له أحد ، وأن الرياضيين الذين سبقوا نابيير لم يصلوا فى بحوثهم الى معرفة شىء عنه ، وأن هذا الفرع بقى مجهولاً الى أن جاء نابيير وفكر فى إيجاد طرق لتسهيل أعمال الضرب والقسمة فوفق الى اختراع اللوغارتمات . هذا ما كنت أعتقده ، وهذا ما لا يزال يعتقده الكثير من علماء الرياضة والتاريخ ؛ ولكن لدى قراءتى لبعض الكتب القديمة التى تتعلق بالرياضيات ، ولدى تصفحى لكتاب يبحث فى تراجم بعض علماء الفلك والرياضيات وجدت أن ابن حمزة المغربى الذى ظهر فى القرن الحادى عشر للميلاد استعمل فى بعض بحوثه عن المتواليات الهندسية طرقاً تقرب من اللوغارتمات ، إذ لو استعمل مع المتوالية الهندسية سلسلة عددية تبدأ بالصفر واتخذ الحدود فى هذه أساساً لنظائرها فى جدول المتواليات الهندسية لكان اكتشف اللوغارتمات التى أوجدها نابيير بعده بأربع وعشرين سنة

والحقيقة التى أود الأدلاء بها أنه مادار بخلدى أنى سأقرأ بحوثاً كهذه لعالم عربى كابن حمزة تمهد السبل لاختراع اللوغارتمات وتكون الخطوة الأولى فى وضع أساسه

الجاذبية :

تُقرن كلمة الجاذبية باسم اسحق نيوتن العالم الانكليزى الشهير ، فهو الذى وضع قوانين الحركة والجاذبية فى قالب لم يُسبق اليه ، إذ استعمل فيها الأرقام والمعادلات . ولكن هذا لايعنى أن نيوتن لم يُسبق الى فكرة الجذب والجاذبية فقد قال بذلك بعض

علماء اليونان والعرب ، فاعترف سارطون بأن للعرب بحوثاً فى الجاذبية وأن الخازن وثابت بن قرة وموسى بن شاكر وغيرهم قالوا بالجاذبية ووضعوا بعض قوانينها . قال ثابت بن قرة « إن المدرة تعود الى السفل لأن بينها وبين كلية الأرض مشابهة فى كل الأعراض ، أعنى البرودة والكثافة ، والشيء ينجذب الى أعظم منه » وقد شرح محمد بن عمر الرازى هذه العبارة فى أواخر القرن السادس للهجرة ، فقال « إنا إذا رمينا المدرة الى فوق فانها ترجع الى أسفل ، فعلمنا أن فيها قوة تقتضى الحصول فى السفل ، حتى إنا لما رميناها الى فوق أعادتها تلك القوة الى أسفل . . »

أليس فى هذا تمهيد لفكرة الجاذبية ؟ أليست مباحث محمد ابن موسى فى حركة الأجرام السماوية وخواص الجذب سابقة لبحوث نيوتن ، وهى الخطى الممهدة للتوسع فى قانون الجاذبية ؟ ألا ترى معى أن اكتشاف أبى الوفاء البوزجانى ، الذى ظهر فى القرن العاشر للميلاد ، لبعض أنواع الخلل فى حركة القمر دليل على أنه كان يعرف شيئاً عن الجاذبية وخواص الجذب ؟ من هنا يظهر أن علماء العرب (وقد يكون من قبلهم اليونان) سبقوا نيوتن فى البحث عن الجاذبية . قد يعترض على هذا القول كثير ولكن لدى إنعام النظر يتبين أن الاعتراض فى غير محله ، فنحن لا ندعى بأن العرب أو (غيرهم) وضعوا الجاذبية وقوانينها وما اليها فى الشكل الرياضى الطبيعى الذى أتى به نيوتن ، إنما جل ما فى الأمر أن العرب أخذوا فكرة الجذب عن اليونان وزادوا عليها ووضعوا بعض القوانين لسقوط الأجسام . ثم أتى بعد ذلك نيوتن وأخذ ما عمله غيره فى هذا المضمار وزاد عليه ، وبفضل ما وهبه الله من العبقرية وما اتصف به من المثابرة والثبات استطاع أن يضع الجاذبية بالشكل الذى نعرفه مما لم يسبق اليه ، ولا شك أن له فى ذلك فضلاً كبيراً جداً ، ولكن هذا لا يعنى تجريد العرب ومن قبلهم اليونان من الفضل ، فلواضع الأساس فى علم من الفضل ما للمكتشف أو للمخترع فيه .

مرض الانكلستوما :

اذا قلنا الدكتور محمد خليل عبد الخالق فمعنى ذلك أنه من الأطباء النادرين الذين يعنون بما جاء فى الكتب الطبية القديمة ومن القليلين الذين يهمهم تطور الاكتشاف فى الأمراض والعوارض التى تصيب الانسان

وزيادة على ذلك فهو من المجددين فى علم الطب ، ومن الذين يعرفون كيف يقومون بواجبهم الانسانى على وجه كامل ، ولسنا فيما نقوله مبالغين ، بل قائلين الحقيقة ومقررين الواقع . لقد علق الدكتور حرسه الله على مقال لى نشرته فى مجلة الرسالة عن ابن سينا بما يلى : « . . . وأود أن ألفت النظر الى أن ابن سينا أول من اكتشف الطفيلية الموجودة فى الانسان المسماة الآن بالرهقان أو مرض الانكلستوما . وقد كان هذا الاكتشاف فى كتابه (القانون فى الطب) فى الفصل الخاص بالديدان المعوية ، وهذه العدوى تصيب الآن نصف سكان العالم تقريباً

وقد بلغ ما كتب عن هذا المرض من المقالات والكتب الى سنة ١٩٢٢ ، (٥٠٠٠٠) مرجع عنيت بجمعها مؤسسة ركفلر بأمريكا . وقد سمى ابن سينا هذه الطفيلية باسم (الدودة المستديرة) وقد كان لى الشرف فى سنة ١٩٢٢ أن قمت بفحص ما جاء فى كتاب القانون فى الطب عن الديدان المعوية ، وأمكننى أن أقوم بتشخيصها بدقة ، وتبين من هذا أن الدودة المستديرة التى ذكرها ابن سينا هى ما نسميه الآن بالانكلستوما ، وقد أعاد اكتشافها دوبينى فى إيطاليا سنة ١٨٣٨ أى بعد اكتشاف ابن سينا عنها بتسعمائة سنة تقريباً . وقد أخذ جميع المؤلفين فى علم الطفيليات بهذا الرأى فى المؤلفات الحديثة ، وكذلك مؤسسة ركفلر كما يرى من المراجع المذكورة بعد . وكذلك كتبت هذا ليطلع عليه الأدباء ويضيفون الى اكتشافات ابن سينا العديدة هذا الاكتشاف العظيم لمرض هو من الأمراض الكثيرة الانتشار فى العالم الآن »

فاذا كان الدكتور محمد خليل بك كتب هذه القطعة ليطلع عليها الأدباء فقط ، فأنا أعيد كتابة ما كتبه ليطلع عليه العلماء والأدباء والباحثون وتلاميذ المدارس العليا وغيرهم . ومن مقال الدكتور يتبين أن العرب لم يمهدوا فقط لمرض منتشر ، بل قد سبقوا غيرهم فى اكتشافه وفى معرفة الشيء الكثير عنه

ولا يسعنى قبل الختام إلا أن أشكر الدكتور على اهتمامه بالتراث العربى والاسلامى فى كشفه ناحية كانت غامضة ومحاطة بسحب من الأبهام ، وفى فتحه باباً ظل مغلقاً قروناً عديدة ، جزاه الله خيراً وأبقاه ذخراً ؟

نابلس **قدرى حافظ طوقان**

من ذكريات الصبي

أول حب

للأديب حسين شوقي

كان أول حب لى فى سنة ١٩١٨ أثناء النفى فى اسبانيا .. كنا نقضى صيف ذلك العام بغرناطة فى الغابة الجميلة التى تحيط بقصر الحمراء الشاهق ، حيث كانت ثريا حظية الملك ابن الأحمر المنعمة المدللة تمرح بين النرجس والياسمين . وكنا نقيم فى فندق شيّد فى الغابة نفسها حيث يستطيع الزائر أن ينعم بالراحة والسكون مع بقائه بالقرب من ذلك القصر العربى المجيد ، وكانت هذه الغابة التى غرست فوق رابية ، تطل على مدينة غرناطة بمنظرها الرائع وضواحيها الفاتنة . . وكنا فى أوائل فصل الصيف ، فلم يحضر إلا القليل من السياح ، فلم يكن بالفندق غير أسرة أحد كبار الضباط الاسبان وأسرتنا ؛ فما لبثت الأسرتان أن تعارفتا بعد زمن قليل . . كان أهلى يقضون أوقات طويلة مع الضابط وزوجه يتحدثون عن جمال الطبيعة فى هذا المكان : سكون الغابة ، صفاء المياه التى تترقرق فى الجداول الآتية من جبل « الشيرا » الذى يشرف هو كذلك على الحمراء وقد جلل الثلج رأسه صيف شتاء . .

أما أبى فقد وجد فى الضابط سميراً أنيساً ، لأن الرجل كان برغم تربيته الحربية واسع الاطلاع على الأدب والتاريخ . . كما كان يشارك والدى فى توجعه على تلك المدنية العربية الأندلسية العظيمة التى أضاءت العالم الغربى حقبة من الزمن ، حين كان يتخبط فى دياجير الجهل والهمجية ، ثم ما لبثت أن اختفت فجأة فى فوضى الوجود . .

وكان هذا الضابط أسمر البشرة إلى حد يلفت النظر ، وقد قال له أبى مرة إنه لابد أن يكون من أصل عربى ، فأمّن الضابط على قوله ذاكراً فى شىء من الزهو أنه عربى من بنى أمية الأمجاد كما تثبت ذلك شجرة نسب أسرته ، إذ كان من النبلاء . .

أما أنا ، وكان عمرى إذ ذاك ثلاثة عشر عاماً ، فما كنت أحفل ببني أمية ولا بغيرهم ، بل كنتُ أقضى الوقت فى الغابة أبحث عن فراشة جميلة أضمها إلى مجموعتى .

كانت تعاوننى فى مهمتى هذه بنت الضابط الصغرى ، إذ كان له بنتان : إحداهما فى العاشرة وكانت مع الأسف دميمة ، ومع ذلك كنتُ أصطحبها فى جولاتى خلال الغابة لافتقارى إلى رفيق . . أما أختها الكبرى فكانت فى مقتبل العمر ، وهى آية فى الحسن ، ببضاضتها ولونها الخمرى ، وعينيها السوداوين الصغيرتين الحادتين ، ووجهها الذى يبسم دائماً كأنه أيام الربيع ...

وكانت هذه الفتاة الرشيقة التى تسمى خوانا ، وكان أهلها يدعونها خوانيتا (تصغير خوانا) — تدليلاً ومحبة — تتكرم أحياناً بمصاحبتنا فى رحلاتنا . . عندئذ كنتُ أحسّ بسعادة عظيمة تغمر قلبى ووجدانى ، لابد أنى كنت أحب خوانيتا حباً جماً إذ ذاك ، فقد فقدتْ يوماً شالها الحريرى الصغير الذى كانت تلف به عنقها فى إحدى هذه الرحلات ، فأخذنا نبحث عنه — نحن الثلاثة — حتى عثرت عليه أنا معلقاً على جذع شجرة ، ولكنى بدلاً من أن أرده اليها ألفيت نفسى أقبله ، ثم وضعته خلسة فى جيبى لأحتفظ به . كم كان طيباً عبيق هذا الشال ! وكيف لا يكون وقد أحاط بجيد محبوبتى خوانيتا ، وتنسم عبيق غدائرها الساحرة ؟ وكنت فى الليل حينما أرجع الى مخدعى وتتراءى لى صورة خوانيتا فتطرد عنى النوم أضمّ الى صدرى هذا الشال فيهدّئ وجوده أعصابى ويجلب الىّ النوم والراحة

أردت مرة أن أقدم اليها هدية مدفوعاً فى ذلك بحب الصبا الجنونى ، ولكن ما الذى كنت أستطيع أن أقدمه اليها ونفقة جيبى ضئيلة لا تزيد فى الشهر على ثلاثين فرنكاً اسبانياً ؟ عندئذ قمت بهذه التضحية : أعطيتها مجموعة الفراش التى عانيت المشاق فى جمعها !

أما خوانيتا فلم تكن مع الأسف تشاركنى هذا الحب ... كم كنت أحمق حين ظننت أن فتاة كخوانيتا فى العشرين من عمرها تبادل صبياً فى مثل سنى الحب ؟ على أن خوانيتا كانت تجد تسلية كبيرة فى التظاهر بحبى ، فتلعب معى أدواراً مؤلمة . . فمن ذلك أنها كانت تحتفظ بيدى فى يدها — أثناء الرحلات — فكنت اذا ماعدت الى الفندق لا أغسل تلك اليد طول النهار ، حتى أحتفظ برائحة خوانيتا فيها ، كما كنت أشمها وأقبلها خلسة من وقت الى آخر . . .

وكانت خوانيتا ترسل الى أحياناً بعض تلك النظرات التى لا يقوى على مواجهتها قديسو اسبانيا جميعاً ! وصار أهلها الذين

علموا هذه الخديعة منها ينظرون الىّ بعين ملؤها العطف ، بل كانوا يضطرونها أحياناً الى مرافقتى فى الغابة مع أختها . .

وا أسفاه ! لم أعرف الكوميديا التى كانت تلعبها خوانيتا إلا قبل رحيلنا من غرناطة بأيام قليلة ! أيها القدر القاسى لماذا لم تترك لصبى مثلى لذته الموهومة وسعادته المزعومة ؟ لماذا لم نرحل قبل اطلاعى على هذه الحقيقة المرة ؟ واليك كيف عرفت الخديعة :

كان أحد باعة الحلوى المتجولين يمرّ أمام الفندق من حين الى حين . فنزلت ذات يوم أشترى منه شيئاً من الشكولاتة لخوانيتا وأختها ، كما كنت أفعل مراراً ، فلما عدت الى الفندق وصعدت الى الحجرة التى كانت تجلس فيها الشقيقتان ، وجدت بابها مفتوحاً وسمعت خوانيتا تضحك مع شاب غريب (هو ابن عمها كما علمتُ ذلك فيما بعد) وإذا بها تخبره بقصتى بصوت جهير ولهجة ساخرة ، وتذكر له كيف كانت تلعب بعواطفى . . عندئذ سقطت الشكولاتة من يدى المضطربة ، وأحسست نفسى تذوب كما يذوب تمثال من الثلج تحت أشعة الشمس الحادة !

كرمة ابن هانئ — حسين شوقى

من شعر الشباب

عيد الجهاد

للأستاذ محمود الخفيف

تزيد صباحه الذكرى جلالا — وقد لبست به الدنيا جمالا
ترى فى أفقه شفقاً خضيبا — ترقرق فى جوانبه وسالا
دم الأحرار ألبسه وشاحا — يتيه به على الزمن اختيالا
تخذناه من الأيام عيدا — هو النيروز والأضحى مثالا
عقدنا حول مفرقه صليبا — وفوق مسيل غرته هلالا
صباح تسفر الآمال فيه — فتجتاح التردد والملالا
يزيد السلمُ ساحته وقارا — ويبسط فى جوانبها الظلالا
ترفرف فيه أرواح الضحايا — وتقرؤنا التحية والسؤالا
تطل من الغمائم سابحات — خوافق تسبق الريح انتقالا
تطوف بكعبة الوادى خفافا — ولا تبغى عن الركن ارتحالا
تقبل حائط الحق ابتهاجا — وتملأ ساحة البيت ابتهالا
وتمسح منبراً ولدت عليه — عقيدتنا وكان لها مجالا
ترى نور القضية فى ذراه — وتسمع صوتها سحراً حلالا
وتلمح من جلال الغار ظلا — ومن طهر الحطيم له خِلالا
تطالع وجه حسّان لديه — وتسمع فى مشارفه بِلالا
سينطوى الدهرَ حائطه المفدى — ويُفنى رأسُه العالى الجبالا

* * *

رعى المولى على الأجيال يوما — بدأنا فيه للحق النضالا
سيوف لنافرين به تشاوى — ونار البطش تشتعل اشتعالا
دعا داعى الجهاد به فسرنا — ولم نخش الأسنة والنصالا
سل الحرية الحمراء عنا — ألم نوسع أعادينا قتالا ؟
ألم نرخص به المهج الغوالى — ونملأ جانب الدنيا صيالا ؟
ألم نبذل غداة الروع أمنا — وأبناء وأقواتاً ومالا ؟
ولم نرهب من المحتل بطشا — وإعداماً ونفياً واعتقالا
تطوف الشائعات بنا فنمضى — إلى الميدان لا نألو نزالا
يقاسى شيخنا فى الأسر ظلماً — ولكن لا يحس له كلالا
يريهم فى صلابته مثالا — من الايمان ظنوه محالا
وقد ألفوا من الشرق انقياداً — لسيفهمو وذلا وامتثالا
وكان أعز بالأعزال جندا — وأرهف من أسنتهم مقالا
لقد ترك الأماثل من بنيه — وحمل راية الحق الشبّالا
فما وهنوا بمصر وما استكانوا — وخاضوا الموت أياماً طوالا
يُتوج هامهم شرف وفخر — وإن جال الردى فيهم وصالا
وأعظم ما تكون الحرب هولا — إذا الأحرار شنوها سجالا

* * *

سأذكر ما حييت صباح يوم — كسته شمس آذار جمالا
سلخت من السنين لديه تسعاً — نعمت حيالها باللهو بالا
ولكنى صحوت على هتاف — وألحان وأسماء توالى
رأت عينى الغريرة مهرجاناً — قد انتظم الأوانس والرجالا
مشى الشبان أرهمُ جموعا — خفافاً فى مواكبهم عجالا
يجيبون النداء ولم يحسوا — لما هتفوا به الا خيالا
وأعذب ما يكون الحق صوتا — إذا هتف الشباب به ارتجالا
ولن أنسى وجوهاً سافرات — وكانت قبل غضبتها حِجالا
وصوتاً رن فى الوادى حنونا — وقبل اليوم لم يعدُ الحجالا

يزيد حنانه الأبطال عزماً ... ويمسح وقعه دمعَ الثكالى
كسا الدم باطن الأيدي خضاباً ... وصاغ العزم في الوجْنات خالا
فلا يدري العدو إذا التقينا ... أيخشى الليث أم يخشى الغزالا

* * *

بني مصر تعالوا خذثوني ... أنرضى اليوم ما نلقى منالا ؟
وهل نلنا سوى الدستور مما ... أردناه لنهضـتنا مآلا
أخذناه جهاداً واجتهاداً ... ولم نأخذه نوماً واتكالا
ولكنا فقدناه رضيعا ... وكان الفقد غدراً واغتيالا
وما أدري غداة بدا سناه ... أكان حقيقة أم كان آلا
أعيدوه إلى مصر غلاما ... فقد لج الحنين بها وطالا
سيبلغ في حضانتها صباه ... ويضمن في رعايتها الكمالا
تواصوا بالوفاء له وسيروا ... كفانا في قضيته مطالا
رأيتم كيف عاقبة التلاحي ... وكيف قضيتمو العهد اقتتالا
تنابذتم ودب الخلف فيكم ... فنمتم عن عدوكمُ اشتغالا
ولولا يقظة الأبطال منكم ... جنينا من ترامينا الوبالا
ولم أر كالخلاف بمصر عيباً ... ولم أر مثـله داء عضالا
ترجى مصر فينا اليوم خيراً ... وترتقب الصنيعة والفعالا
شهدتم أظلم الأحكام عهداً ... وذقتم أسوأ الأيام حالا
شربتم ماءه بالأمس صابا ... خذوه اليوم معسولاً زلالا

المعجزة (١)

أو

السهم الأخير

للأستاذ سيد قطب

مَنَحتني اليومَ ما الأقدارُ قد عجزتْ
عن منحِهِ ، وتَناهى دونَه أملي !
منحتني الحبَّ للدنيا التي جَهدتْ ... في أن تُميلَ لها قلبي فلم يَمِلِ !
وكلما قرَّبتني قلت : خادعةٌ ! ... وكلما طامنتني ، قلت : واوجلي !
ويغمرُ الشكُّ نفسي كلما كشفتْ ... عن فاتنٍ من حُلاها ، غيرِ مبتذلِ
حتى خسرتُ من الأيامِ ماغبرتْ ... به السنونُ ، وحتَّى عقَّني أجلي

* * *

واستلْهمتْ هذه الدنيا طبيعتَها ... في مُعجِزٍ من قواها ، قاهرٍ ، حانِ
فأبدعتْكِ جمالاً كلُّه ثقةٌ ... يؤلف الحبَّ من وحيٍ وإيمانِ
وأودعتْكِ رحيقاً من خلاصتِها ... ومنبعِ السحرِ فيها جدّ فتّانِ
وأرسلتْكِ يقيناً في طلائعِها ... منيرةً في دُجى عقلي ووجداني
فكنتِ آخرَ سهمٍ في كِنانتِها ... وكنتِ معجزةً من خَلقِ فنانِ

* * *

والآن أخلصُ للدنيا وأمنحُها ... حبِّي ، وأدركُ ما فيها من الفِتَنِ
والآن أنظرُ للدنيا وأنتِ بها ... كعاشقٍ ، بهواها جدِّ مُفتتنِ
والآن أعمل للدنيا على ثقةٍ ... بأنني قلبها الخفّاق في الزمنِ !
والآنَ أنصتُ للدنيا فيطربني
من صوتِها العذبِ لحنٌ ساحرُ اللحَنِ
لكِ الحياةُ إذنْ مادمتِ مانحةً ... ليَ الحياةَ بلا أجرٍ ولا ثمنِ !

صرخة الألم

بقلم فريد عين شوكه

تعالَ نجددْ عهود الغرامِ ... ونُحْيِ لياليَهُ الماضيه
لياليَهُ الطيباتِ العذابَ ... وساعاته الحلوة الغاليه
وحيدَيْن فوق ضفاف الغدير ... وتحت خمائله الضافيه
يرفُّ علينا مَلاكُ الهوى ... كما رفَّت الزهرة الناديه
ويسمِعُنا من سماء الخلود ... أناشيده العذبة الحاليه
تُهدْهِدُ أشواقنا الصارخات ... وتسكن أوجاعنا النازيه
وتسري مع الدم بين العروق ... فتروى جوانحنا الصاديه
تعال فقد عصفت بي النوى ... كما تعصف الريح بالجاريه
وراحت تمرِّغ في مهجتي ... مخالبها الصلبة القاسيه
فخلَّت فؤاديَ جمَّ الجراح ... وألقت به جثة داميه
تعال ودَع كل لاح مهين ... يرى الحب أسطورة باليه
فلو عرف المرء معنى الهوى ... وشاهد فيـه النوى ماهيه

(١) من فصل الغزل والمناجاة بديوان « سيد قطب » الذي يصدر أول يناير.

العلوم

خلق النظام الشمسي

نظرية جينز في أصل السُّدُم والنجوم، وتكوُّن نظامنا الشمسي

بقـــلم فرح رفيدي

قبل ٣٠٠ سنة ، ولمدة ألفي سنة تقريباً ، كانت الأرض تدعى سلطانة هذا الكون العجيب ، وسيدة العالم كله ، ومحور دوران شموسه الكثيرة . وقد جعلت ملكة الكون من أبنائها ، لا لأنها كانت أهلاً لهذا اللقب ، أو لأنها حقيقة كانت في ذلك المحل الرفيع من الكون ، بل لأن أبناءها اغتروا بأنفسهم كثيراً ، وحسبوا لوجودهم حساباً كبيراً ، فاعتبروا مسكنهم مسكناً عظيماً يليق به أن يكون مركز الكون وأهم موضع فيه . والصواب أنهم لم يرعووا عن غيّهم ، ولم يضعوا أنفسهم في المقام الجدير بهم إلا منذ ٣٠ أو ٤٠ سنة فقط ، لما عرفوا أن أرضهم هذه هي أقل من جزء من المليون من الذرة الصغيرة ، بالنسبة إلى الكون كله ، وأن الشمس هي بمقدار هذه الذرة فقط ، وأن الانسان نفسه هو أيضاً بمقدار يكاد لا يُذكر

لنفرض أولاً ثلاثة أشياء نسلم بصحتها ، دون أن نكلف أنفسنا مشقة الخوض في برهانها وإثبات حقيقتها

أولاً : المادة مركبة من ذرات مُكهربة تكهرباً إيجابياً وسلبياً ، بروتونات والكترونات (Protons, electrons) ، وفي حركة دائمة ، وبما أن الكهربائية تيار من الالكترونات وحالة من أحوال الطاقة (forw of energy) . كذلك المادة هي مظهر طاقة ، يمكن تحويلها لحرارة أو ضوء ، كتحويل الشهب لحرارة أثناء احتكاكها السريع بدقائق الهواء

ثانياً : كل ذرة في الكون تجذب كل ذرة أخرى بقوة تختلف عكسياً بحسب مربع المسافة بينهما ، وطردياً بحسب حاصل كتلتيهما (mass) . فكل ذرة في الشمس تجذب كل ذرة في الأرض ، وكل شيء على الأرض له تأثير على كل نجم في السماء ، وهكذا لا يمكنني أن أضرب بيدي على المنضدة دون هزّ النجوم من مواضعها ؛ ولكنه هزّ ضعيف جداً ، لا يُدركُ ولا بأدقّ الملاحظات ، وهو ضعيف بمقدار صغر كتلة يدي بالنسبة إلى كُتل الكواكب كلها

ثالثاً : المواد المتركبة منها الكواكب والشمس كالمواد المتركبة منها الأرض ، ولكنها في الأولى تحت ظروف تختلف فيها تبعاً للحرارة والضغط

في البدء قبل أن تكون شمس أو نجوم أو أي ضوء آخر ، وكانت الظلمة تخيّم على سكون عميق في كل أنحاء الكون ، كانت دقائق المادة الصغيرة مبعثرة ومنتشرة انتشاراً متساوياً على أجزاء الفضاء كله ، وكانت البروتونات والالكترونات تجيء وتذهب هنا وهناك في كون لانظام فيه ولا قانون يضبطه ، وكل شيء كان في ظلام دامس من فوضى الطبيعة (chaos) ، وفي حالة غير مُستقرة (unstable) وعلى وشك الانقلاب لأقل حركة تبدو فيه . كان الكون حينئذٍ عديم التوزان ، كقلم أوقف على رأسه ،

وذاق لديه نعيم الجنان ... وكُبْكِب في ناره الحاميه
وهبت عليه رياح الظنون ... وثارت به الغيرة الطاغيه
لما عاش يعبث بالمغرمين ... ويزرى بشكواهم الباكيه
هو الحب لولا يداه اللتان ... تفيضان بالرحمة الهاميه
لما عرف الناس معنى السلام ... ولا قدّسوا روحه الساميه
كتاب بعثت به للحبيب ... قلائد من مهجتى الحانيه
فألقاه منتثراً في الطريق ... كما تُنْثَر الزهرة الذاويه
كأني به تحت عِبءِ القُمامة (م) يشكو إلى ربّه راميه . . ! !

فريد عين شوكة

أقل اهتزاز يغير وضعه إلى وضع ثابت أكثر اتزاناً (stable) ، أو كآلة تحتاج إلى من يحركها ، أو كدولاب على وشك الانزلاق ، يحتاج لدافع يدفعه لينطلق بدورانه انطلاقاً ، كان حقاً بحاجة الى يد الله تسري فيه تياراً من ذلك الغاز المنتشر ، حتى يندفع بأجمعه لأن يخلق نفسه بنفسه ، وتكون حاله إلى ماهي عليه الآن

لانعرف كيف أو أين ابتدأ التيار ، ولكن لسبب ماجرى تشويش (disturbance) فى نظام الطبيعة ، حينئذ جعل ذلك الغاز يتجمع ويتضام ويكوّن من نفسه كُتلاً (condens-ations) كبيرة وصغيرة وفى أماكن مختلفة من الفضاء ، والكُتل الكبيرة بعظم ما تجمّع لها من المادة صار لها قوة جذب كبيرة قدرت بها أن يجمع أكثر من الغاز الذى حولها ، وتتغلب بها على سرعة الذرات من أن تهرب . وحجم الكتلة يتوقف على شيئين : ثخانة الغاز وسرعة ذراته . فى الغاز الخفيف تكون سرعة التيار ومدى توسعه أكثر من سرعته ومداه فى الغاز الثقيل (dense) ولذلك تكون كمية المادة المتجمعة أكبر . وإذا كانت سريعة فانها لاتنقاد لكتلة صغيرة لضعف جاذبيتها ، كخروج ذرات الهواء عن طاعة القمر لقلة جاذبيته بالنسبة لسرعة الذرات . فى غاز معلوم الكثافة وسرعة ذراته يكوّن فقط كتلاً لاينقص الوزن فيها عن حد معين . وإن كان بعض الكُتل صغيراً إلى حد أن يمنعها من ادخار جاذبية كافية تقاوم بها سرعة الذرات الهاربة ، فانها لا تلبث أن تتلاشى وتنتشر فى الفضاء كما كانت . والكبيرة بعكس ذلك ، فان كبرها يزيد فى قوة جاذبيتها التى تزيد فى مادتها وحجمها ، فكلما كبرت الكتلة كان طبيعياً فيها أن تتجمع وتكبر وتزداد مادة وقوة ، وكلما صغرت ساعدت الأحوال على عكس ذلك

حسب هبل (Hubble) أحد الفلكيين أنه إذا انتشر كل غاز النجوم فى الفضاء انتشاراً متساوياً فى جميع جهاته ، فان كثافة ذلك الغاز حينئذ تكون قدر كثافة الماء ب (١٠)^٣٠٠ مرة ووجد أيضاً أن سرعة الذرات فى حالتها تلك تكون حول ٥٠٠ ياردة فى الثانية ، فوجد من ذلك أن وزن كل كتلة من الكتل المتكونة بواسطة التيار أكبر من وزن الشمس بمقدار يتراوح من ٦٢½ مليوناً إلى ٤٠٠ مليون مرة ، وعند اكتشاف الفلكيين اليوم لوجود آلاف من الأجسام التى لها هذا الثقل تحقق جيداً : أن هذه السدم التى نراها اليوم هى ذات الكتل التى تكونت بتأثير ذلك التيار الابتدائى الذى حدث بين دقائق الغاز الأول

وكانت هذه السُدُم التى تكونت مختلفة الحجم والشكل ، وكان شكل الواحدة مترتباً على متجه التيار الذى أحدثها . فان اتجه التيار الى المركز كان الشكل كروياً وبدون حركة ، وإن زاغ الاتجاه عن المركز ، وهو الأكثر حدوثاً ، بدأت الكتلة بحركة دوران حول محور فى وسطها . وللجسم الدائر صفة حفظ قوة الاندفاع الدورى (Constaut Angular Momentum) وهى إن تقلص حجم الجسم بقصر طول قطره ، فتزيد سرعة دورانه . وهكذا كان فى أمر الكتل المتكونة حديثاً : زاد انكماشها بسبب جاذبيتها فى سرعة دورانها أكثر فأكثر . وكان أثر ذلك الدوران أن حوّر شكل الكتلة من الكروى الى شكل عدسى . وكما أن دورة الأرض سببت انبعاجها عند خط الاستواء وتفرطحها عند القطبين ، كذلك ازدياد سرعة دوران تلك الكتل كان يزيد فى تنظيمها الى حدّ بعيد . وكانت اذا زادت سرعتها أكثر من ذلك لا تزيد فى تسطحها فحسب ، بل تبدأ بقذف غاز من مادتها ينتشر حولها فى السطح الاستوائى (eguatorial plane) انتشاراً متساوياً

وهكذا حول كل كتلة تكوّن غاز خفيف . وله كالغاز الذى كوّن السُدم نفسها صفة التجمع والتجزء الى كتل تختلف قليلاً عن بعضها فى الحجم والشكل ، ولكنها أصغر من الكتل الأولى . وكما قدر العلماء رياضياً يتقارب وزن الواحدة منها من وزن الشمس ومعظم النجوم اللوامع . واذا أدرنا بصرنا بالتلسكوب الى السماء شاهدنا السدم اللولبية الشكل تبتدىء بوَسط غازىّ وتنتهى أطرافها بمجموعة من النجوم ، وذلك يدل على أن أصل تكون النجوم والشمس هو من السدم

هذه النجوم الجديدة المنفصلة عن السُدُم الدائرة ، بقيت دائرة مثلها لتحفظ قوة الاندفاع الدورى . وقد كانت ولاتزال للآن تشع فى الفضاء بلا انقطاع كميات كبيرة من الضوء والحرارة تنبعث منها نتيجة لاحتراق مادتها فى داخلها . فالشمس التى نستضىء ونستدفىء بها تخسر من مادتها فى كل دقيقة تمر حوالى ٢٥٠ مليون طن . وهذه كلها تحترق وتتحول

نوراً وحرارة ، لجزء قليل جداً نستمده ، والباقى يذهب هباء فى الفضاء . ذلك يدل على أن حجم الشمس والنجوم يقلُّ تدريجياً ، وقلة الحجم هذه يقابلها سرعة فى الدوران ، وتبقى السرعة فى ازدياد مستمر مادام الأشعاع فى النجم مستمراً ، واذا ازدادت السرعة فى بعض النجوم الكبيرة فقد تقسمها الى قسمين متعادلين أو غير متعادلين تماماً . وبهذه الطريقة نشأت النجوم المزدوجة (double Stars) .

وقد نظن هنا أن منشأ الكواكب فى المجموعة الشمسية حصل من دوران شديد فى الشمس جعلها تفصل عنها هذه الأجرام حولها . ولكن الأمر غير ذلك ، اذ لو قابلنا أوزان بعض النجوم المزدوجة بأوزان الكواكب السيارة ، لوجدنا الفرق بعيداً ، فأوزان الأولى تقرب من وزن الشمس ، ووزن أحد الكواكب كالأرض أقل من جزء من المليون من وزن الشمس . وعلى ذلك فمن غير المحتمل أن يكون منشأ نظامنا الشمسى على هذه الطريقة

لتعليل منشأ نظامنا الشمسى يأتى السر جينز بنظريته المعروفة بنظرية المدّ (Theory of Tidal Friction) ، وهى أن يقترب نجمان مختلفا الوزن من بعض ويكون تأثير جاذبية الكبير على الصغير شديداً بأن يرفع على سطحه مداً من مادته الغازية كرفع القمر مياه الأرض بقوة جاذبيته . ولكن اقتراب النجمين ليس بالأمر الهين أو بالشىء الذى يقع مرة ويتكرر مرات ، إذ أن عظم المسافات الشاسعة التى تباعد بين نجم ونجم ، تجعل أمر الأقتراب شيئاً صعباً وبعيد المدى ، وقد لا يحدث لملايين من السنين تمضى ، ولكنه محتمل الحدوث ولو مرة فى هذا الزمن الطويل

دعنا نفرض مرور الملايين من السنين على شمسنا وهى سابحة فى الفضاء وحدها بدون رفيق أو رقيب ، ودعنا نفرض أن هذه المصادفة ، مصادفة الاقتراب بين نجمين حدثت ، وحصل هذا الشىء البعيد الوقوع والنادر الحدوث بين شمسنا ونجم آخر ، ومر هذا النجم بالقرب من الشمس دون تصادم أو احتكاك ، وكان كبيراً بحيث كان تأثيره قوياً عليها ، فتأثير ذلك النجم ، على رأى جينز ، كان ان عمل على سطح شمسنا مداً ارتفعت فيه كمية كبيرة من الغاز ، وتمددت طويلاً متتبعة جهة ابعاد النجم عن الشمس ، فانفصلت عنها وتكونت بشكل سيكار ثخين فى الوسط ودقيق عند الطرفين ، وصار هذا الغاز المنفصل وسطاً لتجمُّع كُتل صغيرة وكبيرة ومتوسطة بقدر ما تستوعب وتستجمع من المادة التى حولها . ولصغر هذه الكتل ضعفت فيها قوة انبعاث النور والحرارة ، وانطفأت شعلتها النارية ، فبردت وانخفضت حرارتها تدريجياً ، وتحولت الغازات أمطاراً من سوائل المعادن على سطوحها ، وتقلص حجمها الغازى الى حجم سائلى ، وعند انخفاض الحرارة أكثر تجمدت السوائل وتحول بعضها الى مواد صلبة قاسية ، وانكمشت السطوح كثيراً ، وتجعدت ، وتكونت أجساما معتمة ، لامصدر للحرارة أو النور فيها غير ماتستمده من الشمس أو من بعض المواد المشعة فى داخلها . وجعلت حفظاً للاندفاع الدورى تدور حول الشمس دورات مختلفة فى البعد والوقت . وهكذا كانت الكواكب السيارة ، منها عطارد وبلوتو فى طرف السيكار ، والمشترى وزحل فى وسطه

وفى بدء خلق هذه الكواكب ، وقبل اعتدال دوائرها وثباتها حول الشمس كما هى الآن كانت تدور بغير انتظام يربطها ، أوقانون يوحدها . فكانت تارة تقترب ، وتارة تبتعد عن الشمس ؛ فحدث فى أثناء ذلك أنه بينما كانت الأجسام غازات ملتهبة ، اقترب بعضها من الشمس ، إلى حد مكّن الشمس أن تسحب من غازاتها كتلاً أخرى انفصلت عنها وكونت أقمارها ومن جملتها قمرنا

وهكذا من فوضى الطبيعة الأولى تكونت السُدم ، والسدم من جراء دورتها حول نفسها تشتّت غازها وانقسمت إلى أنجم ، كل نجم منها قائم بذاته ، وسائر فى الكون بقوة حركته واندفاعه . ومن سرعة سير هذه الكواكب ابتعدت عن بعضها أبعاداً شاسعة . تكاد تُعدمُها حقيقة وجودها ، بالنسبة لسعة الفضاء وعظمته ، وصار مجرد اقتراب الواحد من الآخر من قبيل المصادفة فقط . ولكن حدث أن اقترب نجم من شمسنا ، وسحب منها غازات توحدت وتجمعت كتلاً صغيرة وكبيرة ، وتصلبت أجسامها وتحولت إلى كواكبنا السيارة هذه ، ومن جملتها الأرض ، وبمجرد اقتراب الأرض من الشمس انفصل جزء منها وكوّن القمر

رام الله فرح رفيدى

البريد الأدبي

الأدب المجري الحديث :

خواصه ومميزاته

نشرت « مجلة المجر الجديدة » مقالاً عن دور الشباب في تطور الأدب المجري المعاصر ، فوصفت الخواص التي يتميز بها أدب الشباب سواء في الشعر أو النثر ؛ وقالت إن الأدب المجري الحديث يرجع إلى أواخر القرن الماضي ، ويمتاز قبل كل شيء بالخروج على النزعة « الغربية » التي بلغت ذروتها بالشاعر الكبير « آدي » أعظم شعراء المجر في القرن الماضي ؛ كما إنه يمتاز بالاغراق في المظاهر الشعبية ، والتعلق بالأصول الشرقية للروح المجرية ، والتأثر بالحياة الريفية .

ومع ذلك فان أساس التطور الحديث في الأدب المجري ، هو شعر « آدي » ؛ ومن المحقق أن الأدب المجري المعاصر ، إذا راعينا أكابر الشعراء مثل يوسف أرديلي ، وبوليا إلياس ، وآتيلا يوزيف ، ولوران زابو وأكابر القصصيين مثل آرون تمازي ويوسف نيرو ، يجوز مرحلة عود على بدء . وإنها لظاهرة جديدة فقط أن تتجه الأفكار إلى استكمال الأساطير القومية الجديدة ، وإلى اعتبارات الجنس والأرض والتاريخ في نوع من المظاهر الشعبية الجديدة ؛ والجيل الحاضر ينظر إلى التطور القديم بهذه الروح بينما يعمل على إحياء النزعة التي أشرنا إليها ، ومن ثم كانت أعظم مصادر وحيه ، السياسة والمجتمع ؛ وكثير من شعراء العصر يرددون قول الشاعر بوتوتوس : « إن الشاعر الذي لا تهزه عواطف عصره ، يمزق أعصاب غنائه »

وفي مقدمة شعراء هذه الطبقة يوسف أرديلي وبوليا إلياس . ومن يقرأ أرديلي في قصيدته الشهيرة « بلا سلاح » أو قصيدته « النجم الفريد » يشعر بأثر الرسالة التي يقول الجيل الشاب إنه يقوم بها . وليوليا إلياس قصة شعرية ظهرت أخيراً عنوانها « شباب » ، وهي تفيض بالجمال الابتداعي والنزعة الغنائية ، ومن نظمه أيضاً « ثلاثة شيوخ » . وهو أشد من يمثل نزعة الجيل الجديد من حيث النزعة الغنائية والفردية ، والطموح إلى استكمال التقاليد والتعلق بالتراث الشعبي

ومعظم هؤلاء الشبان لا يعنى بالشكل ، وينكرون في نوع من التحدي أناقة اللفظ أو ضخامته ؛ وكثير منهم يجنح إلى القديم الساذج ، وإلى الروي الشعبي ، وشعرهم ينضح على العموم عن لون قومي قوي ، وهم في الواقع « أبناء الشعب » ينشأون في مهاد « الفقر العذب » ، وينزعون إلى بساطة اللفظ ، وإلى التقاليد وإلى الأساطير وإلى كنوز الخيال الشعبي

وأما النثر ، فمن أقطابه يوسف نيرو القصصي الكبير ؛ وهو كاتب ذو نزعة دينية إنسانية ترجع إلى تربيته الكنسية ، فقد نشأ قساً ، ثم حمله تيار الأدب . وهو ريفي النزعة من حيث المادة والوصف يصور لك الوطن المجري ، ولا سيما وطنه « ترانسلفانيا » في صور قوية مؤثرة ، ومن أشهر قصصه « تحت نير الله » وهي في الواقع قصة حياته الكهنوتية عرضت في قالب قصصي مؤثر ؛ وله مجموعة أقاصيص شهيرة من أبدع ما أخرج الأدب المجري المعاصر

ومن أقطابه آرون تمازي ، وهو قصصي بارع ينزع إلى المأساة ، ويلزم الطابع القومي العميق ، وله مجموعة قصص تفيض سحراً وإنسانية عنوانها « كواكب ترسلفانيا » ، ومجموعة أخرى عنوانها « عصفور الصباح » يدعو فيها إلى المثل الأعلى . ومنهم جان كودولاني ، وهو مصور بارع لمناظر القرية ومجتمعها . وكذلك زولتان ستنيا ، فهو يصف في قصصه مجتمع الأعيان المنحل ؛ وبول زابو ، وهو كاتب ريفي محض وافر الطرافة والقوة

والفرق قوي واضح بين ذلك الجيل وبين الجيل المنصرم الذي كانت تغلبه النزعة « الغربية » . وليس الفرق متعلقاً بالشكل فقط ، بل هنالك ثمة صورتان مختلفتان ، تمثل كل منهما ناحية من الروح المجرية ؛ وإلى الأولى ينتمي أبناء الأعيان والموظفين الذين متى اضطروا إلى نبذ ترف هذه الحياة ، لجأوا إلى عالم الكتب ليتخذوا منه سداً بينهم وبين حياتهم المسكينة ، وينتمي

إلى الثانية أبناء الفلاحين وطبقة الأعيان الريفية التي تقرب منهم والساخطون على هذا المجتمع . وهم الذين يزعمون أنهم رسل الاصلاح الاجتماعي . وعلى العموم فان البون شاسع بين الكتاب الجدد وبين الجيل القديم سواء من حيث النظر إلى العالم وإلى الحياة

بسمات العدالة

عنى كثير من المؤرخين والكتاب بالكتابة عن المآسي القضائية ، والمحاكمات الجنائية الكبرى ؛ ولكن أحداً منهم لم يعن بالكتابة عن « الكوميديات القضائية » والوقائع والمواقف المضحكة التي تعرض أمام القضاء . وهذا مافعله الكاتب الفرنسي « جيو لندن » الكاتب القضائي لجريدة الجورنال . وقد تخصص جيو لندن في كتابة الصور والأخبار القضائية منذ أعوام بعيدة ، واشتهر بسحر أسلوبه ودقة ملاحظاته ، وهو الذي يلخص أخبار المحاكمات والقضايا الكبرى في جريدة «الجورنال» . وفي كل عام يجمع أشهر المحاكمات والمآسي القضائية في مجلد خاص ، ولكنه اختار هذا العام أن يترك المآسي والجنايات المثيرة ، وأن يجمع المواقف القضائية الفكاهية في مجلد عنوانه « العدالة وبسماتها » La Justice et ses Sourires ، وقد استقبل هذا السفر الظريف في دوائر النقد والأدب أحسن استقبال ، ونوهت بما يضمه من الصور الساحرة والمواقف الشائقة ، وبما يسوده من قوة في الملاحظة وخفة روح في العرض ؛ فهنالك أغرب القضايا المضحكة حقاً ، وأغرب الشخصيات الساذجة التي تنسيك بسذاجتها أحياناً خبث المجرم الخطر ، وهنالك حيل النساء الماكرات تبدو واضحة امام بساطة الرجل المتيم . وقد علق أحد النقدة على ظهور هذا الكتاب بقوله : « إنه يحمل على التفكير بأن التردد على جلسات القضاء يخلق منافسة قوية للمسرح الفكه ؛ بل ربما كان ثمة عاملاً من عوامل الأزمة المسرحية ؛ إن كانت ثمة أزمة »

جائزة نوبل الأدبية

ذكرنا في العدد الماضي أن جائزة نوبل للطب قد منحت لثلاثة من العلماء الأمريكيين . هم الأساتذة جورج نيوث ، ووليم مورفي ، وهوبل . ونذكر الآن أن جائزة نوبل الأدبية لسنة ١٩٣٤ قد منحت الى الكاتب والفنان الايطالي السنيور لويجي بيراندللو وهو كاتب مسرحي تخصص في وضع القطع التمثيلية ، وتنظيم المسرح ؛ وأشهر رواياته قطعة عنوانها : « ستة أشخاص يبحثون عن مؤلف » ، اشتهرت في جميع المسارح الأوربية . والسنيور بيراندللو في نحو السابعة والستين من عمره ؛ وهذه هي المرة الثانية التي تمنح فيها جائزة نوبل للكتاب الايطاليين

أستاذ شرقي يعثر على مخطوطات عربية نادرة

نقل الى الجامعة العربية من أمريكا أن الدكتور فيليب حتى من خريجي الجامعة الأمريكية في بيروت وأستاذ الآداب السامية في جامعة برنستن بأميركا الآن عثر في أثناء بحثه وتنقيبه في المخطوطات الموجودة في مكتبات أمريكا المشهورة على ترجمة عربية ضافية لبحوث كلوديوس جالينوس في التشريح والطب بين خمسة آلاف مجلد من المخطوطات العربية في مكتبة جامعة برنستن . ومما قاله الدكتور حتى في وصف هذه الترجمة « إنها من أندر وأنفس المخطوطات التي سجلت في الفهارس حتى الآن » والترجمة العربية مؤرخة في سنة ١١٧٤ م وقد وضعها حنين بن أسحق المسيحي النسطوري وكان بعد إمام المترجمين من اللغة اليونانية في عصره

وعثر الدكتور حتى كذلك على مخطوطة في علم التنجيم يستدل من الشارة المذهبة المرسومة على الصفحة الأولى منها أنها وضعت في الأصل للسلطان صلاح الدين الأيوبي وكانت في مكتبته ، ويقول الدكتور حتى إن صلاح الدين نفسه كان يسترشد بهذه المخطوطة قبل إقدامه على منازلة الصليبيين في المعارك

وعثر أيضاً على مخطوطة في الموسيقى قد تميط اللثام عن النغمات الموسيقية التي كان يستعملها العرب قديماً . وهذه المخطوطة مزينة برسوم ، وقد وضعها الفارابي الموسيقي والفيلسوف المشهور في القرن العاشر

وهناك مخطوطة عربية رابعة وجدها الدكتور حتى في جامعة برنستن وهي شرح ابن رشد فيلسوف الأندلس وأرجوزة ابن سينا الطبية المشهورة لمؤلف طبي وصفه ابن جزله البغدادي في القرن الثاني عشر

الكتب

الثورة العربية الكبرى

تاريخ مفصل جامع للقضية العربية فى ربع قرن

تأليف الأستاذ أمين سعيد

هذا كتاب كبير يقع فى ثلاثة مجلدات تبلغ فى مجموعها ما يقرب من ألف وأربعمائة صفحة من القطع الكبير ، وهو فى وضعه الحالى يعتبر مرجعاً عظيما للثورة العربية القومية منذ قيامها عقب الانقلاب العثمانى عام ١٩٠٨ إلى الوقت الحاضر

خشى المؤلف الفاضل الأستاذ أمين سعيد كما ذكر فى مقدمة كتابه النفيس أن تنسى الثورة العربية وما تخللها من حركات وما اكتنفها من ملابسات « فتضيع معالمها وتطمس آثارها ويتعذر التأليف فيها فلا يجد الكاتبون العرب فى المستقبل سوى رسائل مبعثرة أو مقالات منثورة أو كتب ألفت باللغات الأجنبية وقد وضعها واضعوها لخدمة غاية معينة »

لذلك تراه يضطلع بهذا العمل على ما فيه من صعوبات ؛ فلا بد له أن يدعم آراءه بالحجج والبراهين ، وأن يسند براهينه بالوثائق والمستندات ، وهذا كله مما لا يسهل جمعه وترتيبه . ولكن القارئ حين يتناول هذا السفر الجليل يحس بالدهشة لكثرة ما احتوى عليه من الوثائق والبيانات ، هذا إلى ما حواه من الصور المتنوعة للأشخاص والحوادث

ولقد قسم الأستاذ المؤلف كتابه تقسيماً جيدا فجعل المجلد الأول للنضال بين العرب والترك ، يضم حوادث الفترة الممتدة من إعلان الدستور العثمانى عام ١٩٠٨ حتى قيام الحكومة الفيصلية فى دمشق عام ١٩١٨ ، وجعل المجلد الثانى لتاريخ الحكومة الفيصلية من قيامها حتى سقوطها ؛ ولقد أفرد به جزءاً كبيراً للثورة العراقية الكبرى وأدوارها مبيناً عوامل الثورة ومقدماتها وحروب الانكليز فى العراق والتصادم بينهم وبين الترك وما ترتب على هذا كله مع جلاء الحوادث والاهتمام بالتفاصيل كمن رآها رأى العين . أما المجلد الثالث فقد جعله لتاريخ القضية فى الفترة الممتدة من عام ١٩٢١ إلى عام ١٩٣٤ ، أورد فيه وصفاً وافياً لتاريخ إمارة شرق الأردن مع شرح القضية الفلسطينية والوطن القومى اليهودى وبيان أخبار الثورة السورية فى اتصالها السياسى الداخلى بين السوريين والفرنسيين

بذلك ترى هذا الكتاب الكبير قد اشتمل على عدة حركات قومية يتوق أبناء الشرق العربى إلى الوقوف عليها . ولعل من أعظم فوائد هذا الكتاب ، أنه فى طريقته المفصلة التى سار عليها ، يعطى القارئ العربى فرصة نادرة ليقارن بين ما يسمعه من أحد أبناء الثورة وبين ما يشيعه عنها خصومها . هذا إلى أنه يكشف عن ناحية من نواحى نهوض الشرق عقب الحرب العظمى مبينا إلى حد كبير وجهته وآماله

ولقد راعى المؤلف الفاضل فى كتابه التسلسل التاريخى للحوادث ، وختم كل حلقة بملخص حلل فيه الحوادث تحليلا مبيناً ما طرأ على القضية من تقدم أو تأخر

وإنى وإن كنت أرى اهتمامه بالتفاصيل الدقيقة وسرده الحوادث الكثيرة المتنوعة أكثر من اهتمامه بالتعليق عليها وبيان مقدماتها ونتائجها ، أقرر أن لطريقته هذه فى موضوع كهذا متشعب النواحى محاسنها إلى جانب معايبها ، فلقد هيأت للقارئ كما قدمت الفرصة ليكون لنفسه حكماً ، وذلك خير مما لو اقتصر المؤلف على طائفة من الحوادث واهتم بإيراد رأيه والدفاع عنه ، فإن القارئ فى هذه الحالة وخصوصاً من يجهل تفاصيل المسألة العربية يكون مقيداً برأيه أو على الأقل فى شك منه

وسيرى القارئ العربى فى كتاب الأستاذ أمين سعيد كثيراً من مواقف التضحية والبطولة ، وكثيراً من مواطن الهول والصراع العنيف مما يجعل للكتاب إلى جانب ناحيته التاريخية ، ناحيته الجذابة القوية ، فيقبل الأدباء على مطالعته فى شغف واهتمام ولذة . وإنى لأنتهز هذه الفرصة فأتقدم إلى الأستاذ أمين سعيد بأجل الثناء على ما تجلى فى مؤلفه الجليل من أريحية ووطنية وهو بمثل ذلك من شباب الأمة العربية خليق

الخفيف

الخط الديوانى الملكى

للأستاذ مصطفى بك غزلان

رئيس التوقيع بديوان جلالة الملك

ازدهر الخط العربى فى صدر القرن الماضى ، وظهر فى عالم الفن جمهرة من القادرين على اجادته واتقانه ، وكانت الآستانة يومئذ كعبة الآمال ، ومرجع أفذاذ الرجال فى الفنون العربية الجميلة

بلغ من ولوعهم بهذه الصناعة أن تخذها الخلفاء والسلاطين مفخرة يفخرون باجادتها واحسانها ، وزينة يُدلون بها على أساتذتها وأساطينها ، فكان السلطان « محمود » يجيد خط « الثلث » « وجلىّ الثلث » ولا تزال « لوحته » القيمة التى خطها بقلمه الجميل تحتل الصدر من « المسجد الحسينى »

وصار على أثره السلطان عبد المجيد ، فكان خطاطاً وسطاً لم يبلغ شأو أبيه . . . وله قطعة كبيرة تتصدر « القبلة » فى ذلك المسجد

تطاول الخط على سائر الفنون الجميلة منذ أحبه الخلفاء والسلاطين وعلت مكانته يوم أن فتحت قصور العواهل على رحباتها لكبار الخطاطين ، يعلّمون الخلفاء ذلك الفن الجميل

ودام للخط العربى هذا الحظ الميمون ، والآستانة تصدر إلى العالم العربى من سحره الفاتن وجماله الرائع ، ما خلب اللب ، واستولى على النفس ، حتى وفد على القاهرة المرحوم عبد الله بك زهدى بدعوة من خديو مصر اسماعيل

جاء ليكتب « الكسوة » بعد أن كتب الحرم النبوى الشريف ، فلقى من لدن ولى الأمر التعضيد والتأييد

وكان يومئذ فى مصر نهضة مباركة ، نشأت فى شخص المرحوم محمد أفندى مؤنس ، ولكنها كانت فى حاجة إلى اذكائها وتنميتها ، فطلع « زهدى » على الناس ، بخط الكسوة وسبيل أم عباس ؛ وتداولت الأيدى بعض نماذجه فى الثلث والنسخ

فكانت بادرة سعيدة ، صعدت بالمرحوم مؤنس إلى الذروة العليا من ذلك الفن البديع

وكان الرجل خيراً بفطرته ، فأخذ يذيع فنه على الناس ويعلمهم إياه ، لا ينتظر أجراً ولا شكراً ، فكانت داره يومئذ أشبه بمدرسة داخلية ، يتعلم فيها الطلاب وينعمون بحديقتها الرحبة ، بل يأكلون ويشربون

ومن يومئذ بدأ الخط يتحول إلى القاهرة ، وكانت العناية شديدة باتقانه واجادته ، وكان له شأو رفيع وشأن جليل فى المدارس الابتدائية والثانوية بَلْه العالية

* * *

تلك خلاصة موجزة بسطتها بين يدى القارىء ، لأستطيع التحدث إليه عن فتح جديد فى الخط العربى ، طلع به علينا الفنان النابغة الأستاذ مصطفى بك غزلان رئيس التوقيع بديوان جلالة الملك

فقد يعرف المتتبعون لتاريخ هذا الفن أن الخط الديوانى نقل فيما نقل من الآستانة إلى مصر ، وكان خطاً خاصاً لا يعرفه عامة الشعب ولا يقرأه دهماء الناس ، بل كان قاصراً على « الفرمانات الشاهانية » « والارادات السنية » ، التى تصدر عن السلاطين ، إلى الولاة ، ثم على براءات الرتب والنشانات

ولما كانت مصر يومئذ تابعة للدولة العلية ، وكانت تلك الدولة هى صاحبة الحق فى منح هذه الرتب ، وتلك النشانات فالبراءات إذن تأتى من دار الخلافة مكتوبة ممهورة بخاتم الدولة إلى أن رخص للولاة والخديوين بمنح بعض الرتب المحدودة القيمة ، يومئذ اختير لكتابتها بعض الأتراك الذين يعرفون هذا النوع ، وهم قليل حتى فى الآستانة ؛ فقديماً كان كتاب آل عثمان يستأثرون بهذا النوع من الخط لأنه كان الخط الرسمى للباب العالى كما قدمنا ؛ ومن ثم كانوا يعدونه من الأسرار الفنية التى لا تزاع لجمهور الخطاطين ، ليكون مرجعها إليهم ومفتاحها بأيديهم ، أما بقية الخطوط فلها نماذج مختلفة بأقلام أساطين الفن على اختلاف مراتبهم

واليوم بفضل الرعاية الملكية ، نستقبل نماذج الخط الديوانى التى عكف على كتابتها وتنسيقها وتنميقها خطاط مصر الأكبر الأستاذ مصطفى غزلان بك ، وأدخل عليها حسناً جديداً وذوقاً مصرياً خالصاً لا تلحظه فيما كتب بهذا الخط من الفرامانات القديمة

وقد طبعها ديوان الأوقاف الملكية ، على نفقة صاحب الجلالة الملك فى مطبعة المساحة طبعاً دقيقاً أنيقاً جعل هذه النماذج فى موضوعها وشكلها مظهراً رائعاً من مظاهر الفن الخالد الخالص (١)

في المصايف

بقـــلم ابراهيم عبده

للأديب ابراهيم عبده أسلوب رقيق وخواطر لطيفة يطالع بها القراء من حين الى حين . وهذا الكتاب الذى أحدثك عنه قد انتظم الكثير من ملاحظاته وخواطره الطريفة فى المصايف ، وطبيعى أن تكون المصايف موضع حديث ابراهيم ، فهى ملتقى الناس من كل صنف ومن كل طبقة ، وهى مجال واسع تقع فيه عين الأديب الناقد وخصوصاً من يهتم بالناحية الاجتماعية كالأديب المؤلف على كثير مما يثير خواطره ويرســل قلمه . افتتح المؤلف كتابه فى رأس البر ثم انتقل بنا الى السويس فبور سعيد فالاسماعيلية فالاسكندرية ، وختم الكتاب بفصل رقيق هو حديث العودة

أجمل ما يحسه القارىء فى هذا الكتاب تلك الروح الهادئة التى تتجلى فى سطوره أشبه بالنسمة الهادئة تهب عليك فى ليالى الصيف وأنت فى معزل على الشاطىء . وإنك لتحس من هذا الشاب بميل شديد الى القصص . ولقد أحسن صنعاً بإيراده خواطره فى المصايف على تلك الصورة التى تجدها فى كتابه ، فلقد كان يأتى بها مرة على طريقة الحوار بينه وبين فتاة كان قد عرفها فى الخرطوم ودار على ذكرها كتابه الأول «الحياة الثانية» ، ومرة كان يتبع طريقة المراسلة ، مما أبعد كتابه عن الملال وأكسبه كثيراً من الجاذبية والظرف

ولئن كان لى أن آخذ على ابراهيم شيئاً وهو فى صدر حياته الأدبية فهو أنه يجتهد فى تقليد أحد كبار الكتاب عندنا تقليداً يظهر فى أسلوبه وفى طريقة الدخول على موضوعه وتوجيهه ويخشى منه على أصالته وشخصيته ، وهو فى غنى عن هذا ، فله كما ذكرت استعداد قوى . نعم لا جناح عليه أن يحذو حذو من تأثر به فى تجويد فنه والعناية بآثاره ، ولكن على أن يحتفظ مع ذلك بشخصيته وروحه

الخفيف

أحسن ما كتبت

علم . فن . فلسفة . اجتماع

بأقلام طائفة من خيرة العلماء والأدباء فى الشعر العربى

أصدرت إدارة الهلال هذا الكتاب الطريف فى نحو مائتى صفحة من القطع الكبير . وقد طبع طبعاً متقناً على ورق جيد ، وهو يضم بين دفتيه كما يتبين من عنوانه مختارات فى العلوم والفنون والآداب من آثار كبار الكتاب فى الشرق العربى ، وقد بلغ عددهم فى هذا الكتاب نحو سبعة وستين كاتباً وشاعراً . ولعل ما حواه هذا الكتاب كما جاء فى مقدمته « لم يتح لكتاب آخر من نوعه . وهو أشبه بالروضة المونقة التى انتظمت ألواناً مختلفة من الأزهار» . يطلب من إدارة الهلال ومن المكاتب الشهيرة ٦

تعليق على نقد

الألحان الضائعة

بقلم حسن كامل الصيرفي

تناول الأستاذ الخفيف فى العدد الماضى من « الرسالة » ديوانى « الألحان الضائعة » فبدأ كلمته بأن أخذ على تلك الكآبة التى لزمتنى فى عهد من حياتى ، وراح يتلمس سرها فلم يهتد الى شىء مع أن هذا السر واضح كل الوضوح فى كثير من قصائد الديوان بل من أول قصيدة الى آخر مقطوعة فيه . ففى قصيدة « الضحية » تفسير قوى لناحية من تلك الكآبة ، يؤكده قولى فى القصيدة التى تليها بعنوان « الواحة المنسية » :

فى ذمة الفن ماردّدته أمداً
فضاع لحنى سدًى فى جوّ نكران
طغى عليـه ضجيج القوم فانطمست
أصــداؤه ، وفؤادى طىّ ألحانى

وفى قولى فى قصيدة « اللحن الضائع » :

يا أغانى الربيع ما أنا إلا مقطع من قصيدة ضاع لحنُه
لم تلد لى الأيامُ من يتــولى بعثَ لحنى ، وكيف يبزغ شأنه ؟
أوَ بين الصخور يكتمل الصو ت ؟ محالٌ هذا .. وكنت أظنه

وفى قصيدة اللغز تظهر نواح كثيرة من سر هذه الكآبة ، وتظهر فيها قوة الشباب الغلاّب لا اليأس المستسلم

وأظن أن تصوير الشاعر لآلامه ليس من العيوب التى تؤخذ عليه وإلا فليس من الواجب أن تطالبه بالصدق فى التعبير ، وألاّ نؤاخذه على تزوير شعوره

ولو اطلع الناقد الفاضل على « الصورة السريعة » التى كتبتها عن حياتى فى الديوان لعرف شيئاً عن سر الكآبة التى لازمت شعرى فى الأربع السنوات الماضية ، وزادها سواداً ذلك الجحود الذى لقيته فى الأدب وعبرت عنه فى معظم قصائدى

ثم يرى الناقدُ الفاضل أن « الأديب الصير فى قليل العناية بقوافيه وبلغته على وجه العموم » . . هذا حكم يصدره ناقدٌ فاضلٌ لأنه عثر على بعض هنات يعثر عليها فى كثير من أشعار المتقدمين والمعاصرين ، ولأنه وجد محاولات عروضية مخالفة للسنّة القديمة ، وهى لم تضر الأدب فى شىء ، إن كان قد أصابه ضرر من محاولات شعراء الأندلس . . هذه الهناتُ التى لم يذكرها والتى يمكن لكل ناقد أن يعدّها على أصابعه تجعل من صاحب الديوان رجلاً لا يهتم بلغته وقوافيه (على العموم) !

إنى لأهتم إذ أحاول التكلم عن أصول النقد وواجباته ، ومن هذه الأصول عدم الحيدة عن الحقيقة والانصاف ، وأدعو الله أن يهدينا جميعاً أقوم سبيل . هذا وأختم تعليقى بالشكر للأستاذ الخفيف على تنويهه ببعض ما وجدنى قد أحسنتُ فيه مما كان يرفعنى — أو يُرجى منه ذلك — لو أنى سرتُ على نهجه فى جميع قصائدى كما يقول . وأنا عند حسن ظنه بى يوم يتقدَّم بى العمرُ حتى يتكافأ وأدبى ؟!

حسن كامل الصيرفى

العروبة

مجلة أسبوعيــة جامعة

تصدر عن بيروت لصاحبها الأستاذ محمد على الحومانى

بين يدينا الآن العدد الأخير من هذه المجلة الرفيعة ، وهو محرر بأقلام الأساتذة الكاتبين من رجال الأدب العربى السورى ، يتجلى فيه وفى سوابقه صدق الرأى ونزاهة النقد ورصانة الأسلوب وشرف الغرض . وقراء الرسالة يعرفون الأستاذ رئيس تحريرها بما نشر له فيها من الموضوعات التى جمعت بين عمق التصور وبلاغة التصوير ، ودلت على ثقافة شاملة وعقلية متزنة وذوق مصقول فى النثر والنظم والنقد . وهذه الصفات الغرّ كفيلة بسير (العروبة) على النهج الذى يرتضيه الخلق وتقتضيه الحال وتتطلبه مصالح العرب المشتركة ووحدتهم المرجوة . فنتمنى للزميلة الكريمة ماتستحقه من الرقى المطرد والفوز المبين والعمر البالغ

الاسلام

صدر العدد الحادى والثلاثون من مجلة الاسلام حافلاً بالموضوعات الدينية الشائقة من تفسير القرآن الكريم ، وشرح الحديث النبوى الشريف ، والقصص القرآنى ، ومع هذا العدد هدية ثمينة مما تصدره المجلة شهرياً ، وتطلب من إدارتها بشارع محمد على رقم ١٤١